البدر الزاهر

في نصرة الملك الناصر

«محمد بن قايتباي»

(٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٥-١٤٩٩م)

المنسوب إلى

«ابن الشحنة»

تحقيق

الدكتور عمر عبد السلام تدمري



دار الكتاب العربي

البدر الزاهر
في نصرة الملك الناصر

البدر الزاهر

في نصرة الملك الناصر

«محمد بن قايتباي»

المنسوب إلى

«ابن الشحنة»

تحقيق

الدكتور عمر عبد السلام تدمري

استاذ التاريخ الاسلامي
الجامعة اللبنانية - طرابلس

الناشر

دار الكتاب العربي

ص.ب: ٥٧٦٩-١١ بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

مقدمة التحقيق

موضوع الكتاب

يتناول هذا الكتاب وصفاً دقيقاً للفتنة التي وقعت في عهد السلطان الناصر محمد بن قايتباي (٩٠١ ـ ٩٠٤ هـ . / ١٤٩٥ ـ ١٤٩٩ م .) والتي أشعلها الأمير « قانصوه » المعروف بـ« خمسمائة » وذلك بعد وقت قصير من سلطنة الناصر في العشر الأخير من شهر جمادى الأولى سنة ٩٠٢ هـ . وكان « قانصوه » يطمع في السلطنة ، حتى أنه أخذ مبايعة الخليفة العباسي والقضاة والأمراء ، وتسلطن لمدة ثلاثة أيام ، ولقّب نفسه بالاشرف أبي النصر .

على أن الفتنة ترجع في أصولها إلى عهد السلطان الأشرف قايتباي ، وبالتحديد منذ شهر ذي الحجة في أواخر سنة ٨٩٦ هـ . وكان طرفاها أولاً : « قانصوه خمسمائة » وهو أمير أخور كبير ، والأمير « آقبردي الدوادار » وهو شقيق زوجة السلطان الأشرف ، وخال السلطان الناصر . وكان السبب الأول للفتنة بينهما اختلافهما حول رجل توتي (ربما كان يبيع التوت) ، ثم تطوّر الخلاف فيما بعد إلى نزاع مستمر نتجت عنه عدة فتن .

وقد عيّن السلطان الأشرف قايتباي الأمير قانصوه على إمرة الحاجّ بركب المحمل ، وحين وصل الحجّاج لم يُثنوا عليه خيراً ، ولم يحمدوا سيرته في هذه

السفرة ، وحكوا عنه أموراً غير صالحة ، منها أنه رمى الناس وأخذ جمالهم ، وترك جماعة منهم بينْبُع « واستمر قانصوه خمسمائة في خلطنة وعكس ولم ينتجح أمره من بعد ذلك . . » .

وفي شهر رمضان من سنة ٩٠٠ هـ . توعّك السلطان قايتباي في جسده حتى أُرجف بموته ، وأُشيع أن قانصوه تقحّم على السلطنة في مدّة مرض السلطان ، ولذلك مُنع من الدخول عليه ، وحين شُفي خرج قانصوه من القاهرة في ليلة عيد الفطر ولم يحضر موكب العيد ، فكثُر القيل والقال في ذلك اليوم ، فلما كان يوم العيد ثارت الفتنة ، ونهب المماليك الجلبان دار قانصوه وأحرقوا بعضها وأخربوا غالبها ، وكانت داراً عظيمة . وكان الذي أثار الفتنة طائفة من مماليك آقبردي الدوادار. وحين رجع قانصوه الى القاهرة وعلم بما وقع لداره ازدادت العداوة بينه وبين آقبردي ، وراح يجمع الأمراء والعساكر حوله ، وتعاظم الأمر حتى أصبح الهدف الرئيس هو الوصول الى السلطنة ، ولكن السلطان تمكّن من تعبئة العسكر حوله مما أحبط حركة قانصوه الذي فرّ من القاهرة واختفى مدّة ، وراح « آقبردي » يتتبّع الأمراء والمماليك من أصحابه ويُنزِل بهم العقوبة والانتقام حتى « بدّد شملهم ، وفتك في تلك الأيام ، وطاش وخفّ إلى الغاية ، واجتمعت فيه الكلمة ، وصار صاحب الحلّ والعقد ، ليس على يده يد ، وكان ذلك من أكبر أسباب الفساد في حقّه » . ثم ظهر « قانصوه » في شهر شوال ٩٠١ هـ . بعد اختفائه تسعة أشهر ، وقدّم اعتذاره للسلطان الذي أشار عليه بأن يأخذ تحت إبطه ثوباً بعلبكياً حتى يرقّ عليه قلب العسكر ، وكأنه جاء وكفنه تحت إبطه ، ويعفو عنه السلطان ويرسم له بالعودة الى داره ، وكان « آقبردي » في مقدّمة الموكب الحافل الذي أوصله إليها ، ولكن الفتنة ما لبثت أن نشبت على يد مماليك « قانصوه » حيث حاصروا « آقبردي الدوادار » في داره وأشعلوا الحريق من حوله . ولم يستطع السلطان أن يفعل شيئاً سوى الجلوس في القلعة ورؤية الدخان المتصاعد ، إذ كان قد بلغ مرحلة النزع الأخير ، وتمكّن « قانصوه » من دخول القلعة وقبض على بعض الأمراء فيها ، ثم أعلن مبايعة « محمد بن

قايتباي » بالسلطنة خلفاً لأبيه في يوم السبت ٢٦ ذي القعدة سنة ٩٠١هـ . ومات السلطان الأشرف قايتباي في اليوم التالي (الأحد ٢٧ ذي القعدة ٩٠١ هـ) .

وقد أنعم الناصر محمد على « قانصوه » بالأتابكية ، وأخذ الدوادارية الكبرى من خاله « آقبردي » وأعطاها لغيره ، ورسم بإخراج مماليكه وتوزيعهم في البلاد ، حتى هرب إلى غزة مختفياً ، فتعاظم أمر « قانصوه » إلى الغاية حتى انه لم يُصلّ مع السلطان صلاة عيد الأضحى ، ولا صلاة الجمعة . وحين أتى السلطان بالمصحف الشريف ليحلّف عليه الأمراء والعساكر ، تخلّف « قانصوه » عن الحضور ، وتغيّب عدّة أيام ، وحين أدّى اليمين بعد ذلك « حلف أيماناً غير صادقة » ، وحين لمس من السلطان ميلاً للعفو عن « آقبردي » وأصحابه من الأمراء ، سارع « قانصوه » إلى خلع الناصر محمد وأخذ البيعة لنفسه ، وتم ذلك يوم الأربعاء ٢٩ جمادى الأولى ٩٠٢[1] ، ثم وقعت الواقعة التي تناولها هذا الكتاب بالتفصيل ، على مرور عشرين يوماً حتى يوم الأربعاء ١٩ جمادى الآخرة سنة ٩٠٢ هـ .

مؤلّف الكتاب

لا نشكّ في أن مؤلّف هذا الكتاب واحد من المقرّبين الى السلطان محمد بن قايتباي ، بل هو ممن يدخل في عِداد موظّفيه أو مماليكه ، فالتبعيّة ظاهرة جليّة في أسلوبه وعبارته الإنشائية التي ضمّنها كثيراً من آيات الدعاء والثناء للسلطان ، فضْلاً عن فاتحة الكتاب التي أطنب في ديباجتها بوصفه ومدْحه وإطلاق أفخم الألقاب عليه ، مع صغر سنّ السلطان محمد في ذلك الوقت ، إذ كان لم يبلغ الخامسة عشرة من عمره . والأرجح ، حسب رأينا ، انه كان من جملة كُتّاب السر في أيام الأشرف قايتباي ، ثم في أيام ابنه الناصر محمد .

---

(١) راجع : بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد بن أحمد بن إياس الحنفي - تحقيق محمد مصطفى - الجزء الثالث - ص ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٩ و ٣١١ و ٣١٣ و ٣٢٤ - طبعة القاهرة ١٩٦٣ .

ولقد جاء على غلاف الكتاب المخطوط ، وتحت عنوانه الرئيس انه « لابن الشحنة » وهذه العبارة مُضافة على الأصل ، ولم يوضح كاتبها من هو المقصود بابن الشحنة ، والمعروف أن أبناء الشحنة هم من مدينة حلب ، وأنه ظهر فيهم كثير من الفضلاء والعلماء والمصنّفين ، من أشهرهم « ابن الشحنة » الذي نُسب إليه كتاب « الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب » .

أما « ابن الشحنة » الذي يُحتمل أن يكون مؤلّف هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فهو على الأرجح « عفيف الدين حسين بن محمد بن محمد » قاضي القضاة أبو الطيب ابن قاضي القضاة أبي اليُمن أثير الدين ابن قاضي القضاة أبي الفضل محب الدين بن الشحنة الشافعي ، المولود في سنة ٨٥٨ والمتوفى سنة ٩١٠ (وقيل : ٩١٦ هـ .) . وقد تولّى قضاء الشافعية بحلب في شهر جمادى الأولى سنة ٩٠٠ هـ . ودفع في سبيل ذلك مبلغاً كبيراً من المال ـ حسب مفهوم رواية « ابن اياس » ـ ، كما تولّى كتابة السرّ بها بعد أن حصّل بالقاهرة طرفاً من العلم ، وأُجيز بصحيح البخاري بها قراءة في سنة ٨٧٧ هـ . عن الشيخ شهاب الدين احمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف الشاوي المصري الحنفي الصوفي . ومن شيوخه بحلب العالم المشهور « مُلاّ علي الشهير بقل درويش الخوارزمي » قرأ عليه بها « شرح جمع الجوامع » للمحلّي عن آخره في نسخة كتبها بيده ، ولما أكمل قراءتها عليه أثنى عليه بخطه في ذيلها ، بأنه قرأ عليه قراءة بحثٍ وتحقيق ، ومناظرة وتدقيق ، مع تحليل التركيبات والمباني ، وتفاسير الألفاظ ، وتحقيقات المعاني ، الى أن أثنى بأنه أفاد واستفاد ، وزاد واستزاد ، وكرّر النظر وأجاد ، وأنه سريع الفهم ، سريع الانتقال ، بليغ الحكم ، قويّ الجدال »[1] .

ويظهر أنه كان في القاهرة وقت حدوث الفتنة ، في زيارة قصيرة عاد بعدها الى حلب ، ولذا نجده يختم كتابه بعبارة هذا نصّها :

---

(١) دُرّ الحبب في تاريخ أعيان حلب ـ رضي الدين محمد بن ابراهيم بن يوسف الحلبي المعروف بابن الحنبلي (توفي ٩٧١ هـ .) تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبّارة ـ طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٣ ـ الجزء الأول ـ القسم الثاني ـ ص ٥٤٧ و ٥٤٨ .

« نجز الكتاب المسمّى بالبدر الزاهر في نصرة السلطان الملك الناصر ، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، نهار السبت خامس عشر جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعماية ، على يد مولّفه للمقام الشريف ، نصره الله تعالى ، وخلّد مُلكه ، وكبت عدوّه وخذله ، وحقّق هلكه بمحمّد وآله أجمعين »(١) .

ثم يعود المؤلف فيضيف تتمّة على الكتاب ، تتضمّن حوادث أربعة أيام ، فيصل به الى يوم الأربعاء الواقع في ١٩ جمادى الآخرة ٩٠٢ هـ . وينتهي الكتاب عند أحداث ذلك اليوم ، والفتنة كانت لا تزال قائمة بين السلطان الناصر والأمير « قانصوه » .

ويتضح من الكتاب أن مؤلّفه كان شاهد عيانٍ لتلك الموقعة التي شهدتها قلعة الجبل بالقاهرة ، إذ ينص في سياق سرده للأحداث والوقائع على مشاهداته الشخصية ومقابلاته مع أشخاص عايشوا تلك الموقعة .

وأهم ما يلفت النظر أن المصنّف أهمل ذِكر اسمه في الكتاب ، ويُمكِن القول انه أهمل ذِكر اسمه قصداً خشية أن يقع كتابه في يد « قانصوه » او في يد أحد الأمراء المتواطئين معه ، حتى لا يعرّض نفسه للخطر . وهو يستشهد بأقوال أناسٍ كثيرين في القاهرة ، منهم واحد من أهل حلب ، وأهمّهم واحد وصفه بأنه أحد مشايخه هو : « الإمام العلّامة . . الشيخ أبو النجا المصري الفوّي »(٢) .

ويلفت النظر أيضاً ، مبالغة المؤلّف في إضفاء المديح على السلطان ، والتهجّم على « قانصوه » الذي نعته بأوصاف الخيانة والتآمر والغدر ، بينما نرى موقفاً مغايراً للمؤرّخ « ابن إياس » الذي كتب أحداث الواقعة متجرّداً دون تحيّز لأحد الطرفين ، فهو يذكر مثلاً أن السلطان « ضرب امرأة بين يديه بالمقارع وشُهّرت على حمارٍ وفي عنقها زنجير ، وهذا لم يُعهد قط ، فلما طاش

(١) البدر الزاهر ـ ص ١٣٣ أ .

(٢) البدر الزاهر ـ ص ١٢٦ أ .

السلطان وخفّ وكّل به « كرتباي الأحمر » أربعة من الخاصكية يمنعونه من اللعب مع أولاد العوامّ ومن كل تصرّف سيّء ، ومع ذلك فما ارعوى ولا حصل من هذا طائل وزاد في الطيشان حتى خرج في ذلك عن الحدّ . . »[1] ومن جملة طيشانه انه خرج الى صلاة الجمعة وهو بغير كلفتاه بل بتخفيفة صغيرة ، فشقّ ذلك على الأمراء وأعابوا عليه هذه الفعلة[2] .

وفي المقابل يذكر أنه لما تمّت مبايعة الأمراء والقضاة لقانصوه بالخلافة قبّل له الأمراء الأرض والعسكر قاطبة ، ونودي باسمه في القاهرة ، وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخاص والعام . . وكان قانصوه محبّاً للناس قاطبة[3] . . وفي موضع آخر يقول عنه ما نصّه : « وكان أوشلاً معكوس الحركات في سائر أفعاله ، لم يَطُبّ طَبَّة . . »[4] .

نظرة في الكتاب المخطوط

صاغ المؤلّف كتابه بأسلوب الكتابة التي شاعت في عصر المماليك ، وهي أقرب الى التصنّع بالسجع ، وصدّره بمقدّمة مطوّلة ، أعقبها ببيان ترتيبه للكتاب على أربعة أبواب .

يتناول في الباب الأول : ابتداء سلطنة الناصر محمد بن قايتباي .
وفي الباب الثاني : لمحة من كرمه .
وفي الباب الثالث : سرد لحوادث الفتنة .
وفي الباب الرابع والأخير : عدّة منامات حول الفتنة .

ثم وضع تتمّة للكتاب في حوادث الفتنة . وجاء الكتاب في الأصل المخطوط من (١٣٩) ورقة مسطرتها : ١٧,٥×١٢ سم . تضمّنت الصفحة الواحدة (٧) أسطر ، وكل سطر من نحو (٦) كلمات ، بخط واضح جميل

---

(١) بدائع الزهور - ج ٣٣٨/٣ .
(٢) بدائع الزهور - ج ٣٣٩/٣ .
(٣) بدائع الزهور ٣٤٢/٣ و ٣٤٣ .
(٤) بدائع الزهور ٣٤٩/٣ .

ومشكول . واعترى بعض الكلمات أخطاء نحوية . واتّبع المؤلف أسلوباً معيّناً في كتابة الهمزة سواء في وسط الكلمة أو في آخرها ، وسنشير إلى ذلك في مواضعها .

وغلب على المؤلّف أسلوب الاستشهاد بأبيات شعرية ، وبعض الأقوال الحكمية ، والآيات القرآنية ، كما استشهد بحكايتين في الباب الرابع من الكتاب ، إحداهما عن « عبد الملك بن مروان » وعصيان « عمرو بن سعيد بن العاص » عليه ،[1] والاخرى عن « الخنشوار » ملك الهياطلة ، و « فيروز بن يزدجرد » ملك الفرس ، [2] وذلك ليضرب بهما مثلاً على الخيانة وعدم الوفاء .

كما يمتاز المؤلّف بأسلوب المحلّل للحوادث وتفسير الأسباب وتعليلها ، وهي ظاهرة جيّدة في المؤرّخ ، ولكن هذه الظاهرة تضعف قيمتها إذ نعرف أن المؤلّف كان له موقف مبنيّ على تصوّر مُسبَق ، يقوم على إثبات صحة موقف السلطان ، وإبطال حجّة الأمير « قانصوه » وتسفيه حركته . وبمعنى آخر فإن المؤلّف كانت له نيّة معلنة وموقف متحيّز بمجرّد تأليفه للكتاب .

أما القيمة التاريخية لهذا الكتاب فتأتي أهميّتها من أن مادّته توثّق روايات غيره من المؤرّخين المعاصرين واللاحقين الذين كتبوا فيما بعد عن تاريخ دولة المماليك قبل انهيارها في السنوات الأخيرة من عهدهم في القرن العاشر الهجري / آخر الخامس عشر وأوائل السادس عشر الميلادي .

والكتاب مخطوط من نسخة فريدة محفوظة بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقم **١٧٩٣** عربي ، كان يملكها « يحيى بن محمد الملاّح » ، ومنها نسخة مصوّرة عنها محفوظة في خزانة أحمد تيمور باشا التي ضُمّت الى دار الكتب المصرية بالقاهرة ، تحت رقم (**٢٢٢٢** تاريخ ، تيمور) ، وقد تم تصويرها في سنة **١٣٤٥** هـ .

---

(١) البدر الزاهر ـ ص ٩٩ أ ـ ١٠٥ ب .

(٢) البدر الزاهر ـ ص ١٠٦ أ ـ ١١٢ ب .

وتحمل الورقة الأولى من المخطوط العبارات التالية :

« البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر ابن السلطان قايبتاي

لابن الشحنة

البدر الزاهر في نصرة الملك أ

أودعت فيه شهادة أن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

عدد أوراقه ماية وثلاثين »

أما الورقة الثانية فحملت العبارات التالية :

« البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر
بن
المقام الشريف
السلطان المالك الملك الناصر عزّ نصره
في نوبة الفقير يحيى بن محمد الملّاح عفي عنهما » .

طريقتي في التحقيق

اعتمدت في تحقيقي للمخطوط على تصويب الكلمات التي أخطأ في كتابتها المؤلف ، مع الإشارة إلى صورة الكلمة في الحاشية كما وردت في الأصل عن طريق العلاقة المميّزة ( ).

كما اعتمدت رمز القوسين الكبيرين للكلمات التي أضيفت على نص المتن ووردت أصلاً في هامش الصفحات أو بين السطور ( ) .

واعتمدت رمز الحاصرتين [ ] للكلمات التي أضفتها على النص للتوضيح . ورمز الهلالين الصغيرين « » للآيات القرآنية . ورمز الخطّين المائلين المتوازيين / / لأرقام الصفحات كما هي في أصل المخطوط .

وعملت على تفسير بعض المصطلحات الواردة في النص ، وعرّفت ببعض الأعلام والأماكن ، مُحيلاً في معظمها إلى المصادر والمراجع المعتمدة .

وقد ألحقت في آخر الكتاب النص الوارد عند المؤرّخ المصري « ابن إياس » حول الفتنة التي هي موضوع هذا الكتاب للمقارنة بينهما ، ثم النص الوارد عند المؤرّخ الدمشقي « ابن طولون » لنرى صدى هذه الفتنة عند مؤرّخ شاميّ معاصر ، وكيف صاغ أخبارها وهو بعيد عن ساحتها .

ثم وضعت في آخر الكتاب ثبتاً بالمصادر والمراجع التي اعتمدتها في التحقيق ، مع فهرس للأعلام وآخر للأماكن .

وأدعو الله تعالى أن اكون قد وُفقّت في عرض هذا الكتاب وتقديمه للمكتبة العربية ، معتذراً عن أيّ تقصير .

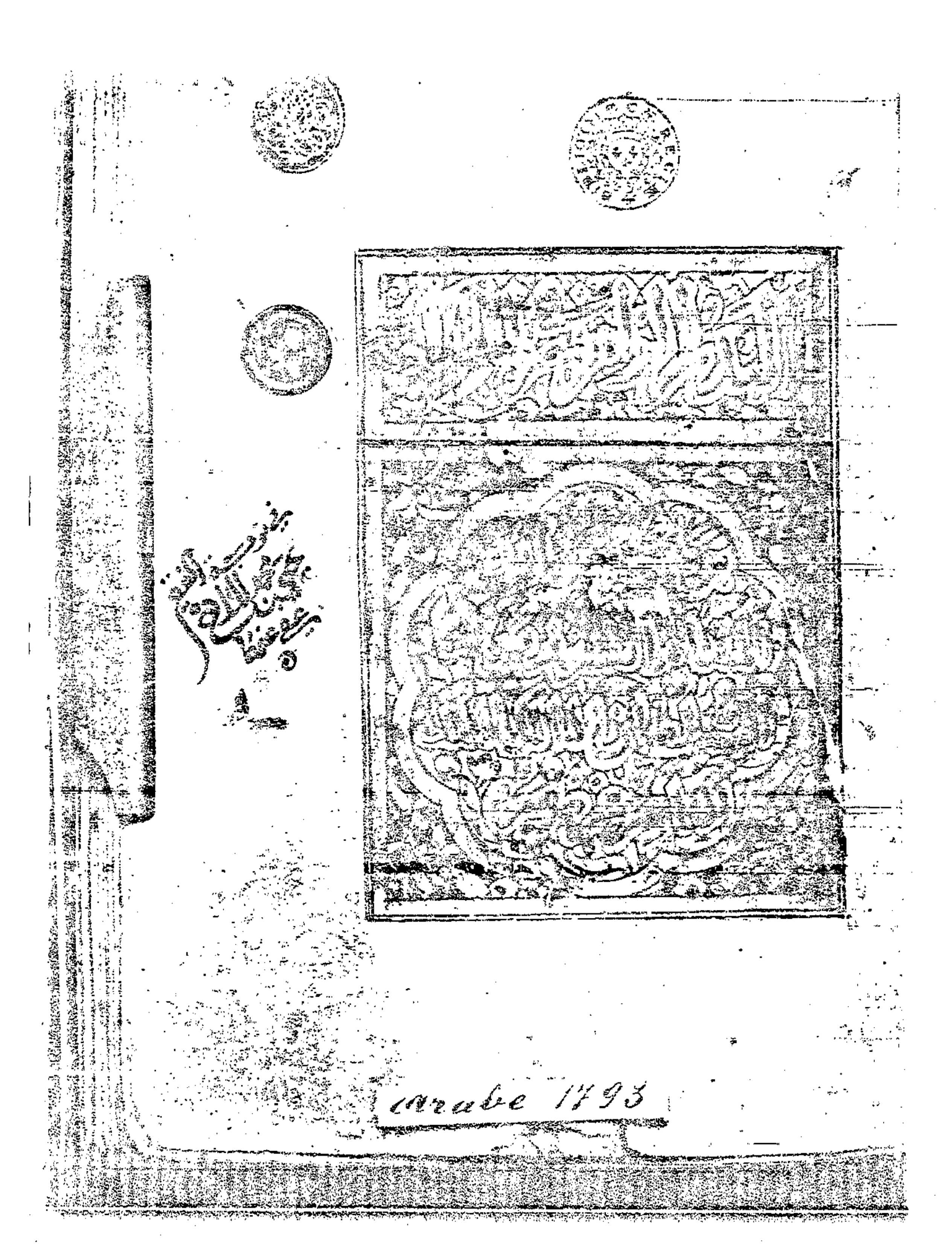
والله الموفق إلى سواء السبيل .

د . عمر تدمري

طرابلس الشام

غرّة صفر ١٤٠٢ هـ .

٢٨ تشرين الثاني ١٩٨١ م .


Arabe 1793

بسم الله الرحمن الرحيم وبه [illegible]

الحمد لله الذي جعل لأبصار همم قلوب عباده

المؤمنين بهجة وسرورا ۝ وأقر به عيون الغزاة

المجاهدين وشرح لهم صدورا ۝

وكبت أعداءه المنافقين حتى صاروا ويقذفون

من كل جانب دحورا ۝ ورفع لواء الدولة

الملك الناصر بن الأشرف وجعله مؤيدا

منصورا ۝ وملكه الحرمين الشريفين
وما معهما من الأراضي المقدسة
وغيرها ليكون عبدا شكورا ۝
وفضله على سائر ملوك العرب والعجم
والترك والديلم ورفع له قدرا ونشر
له في الآفاق ذكرا ۝ ولم يزل به لطيفا
خبيرا ۝ ونصر أولياءه نصرا

أَلسَّبَبُ ٱلْأَوَّلُ أَنَّ ٱلْقَلْعَةَ ٱلْمَنْصُورَةَ وَطَنُهُمْ
إِلَيْهَا يَأْوُونَ وَفِيهَا يَسْكُنُونَ وَٱللَّبِيبُ ٱلْعَاقِلُ
يَحِنُّ إِلَى وَطَنِهِ وَيَحْزَنُ عَلَيْهِ إِذَا حَدَثَ بِهِ حَادِثٌ
وَيَدْفَعُ ٱلْأَذَى عَنْهُ إِذَا قَدَرَ عَلَى دَفْعِهِ وَيَحْمِيهِ بِكُلِّ
طَرِيقٍ مُمْكِنٍ مَا وَجَدَ إِلَى حِمَايَتِهِ سَبِيلًا وَلَمَّا
رَأَوْا أَنَّ ٱلْأَعْدَاءَ قَدْ عَزَمُوا عَلَى مُحَاصَرَتِهَا وَرَمْيِهَا
بِٱلْمَدَافِعِ حَدَثَ بِهِمُ ٱلطَّمَعُ إِلَى حِمَايَتِهَا فَلِذَلِكَ تَسَارَعُوا

إليه السبب الثاني أن لكل واحد منهم فيه
أخ أو صديق أو مصاحب ومحاربة الإخوان بلا
سبب مستحيلة ومناصرتهم ومساعدتهم إذا
قصدهم أحد بسوء واجبة وذلك من شيم النفوس
الأبية فلما رأوا أن الأمراء قصدوا إخوانهم بالسوء
لم تحملهم نفوسهم على ترك مناصرتهم فتعصبوا لهم
وسعوا في مساعدتهم ولا يمكنهم ذلك إلا بالصعود

القطعة المصورة فلذلك تسارعوا اليه السبب

الثالث ان النفوس تميل بالطبع الى محبوباتها

ومشتهياتها واعظم محبوب عند اكثر الناس الذهب

والفضة والقطعة المصورة محل ذلك ومعدن

لاشتمالها على خزاين السلاطين وذخاير الملوك

فلذلك تسارعوا اليها السبب الرابع انهم لما

تحققوا من الاثر بالقراين الظاهرة والقياس

على

مَن تَقَدَّمَ الحسن لو مَلَكُوا وَصَارَ الأَمرُ لَهُم لأَفنَوهُم

بالقتل وغيره وأنّ بقاء نفوسهم ومهجهم إنما ببقاء

الأمر والسلطنة مع السلطان الملك الناصر نصره الله

سارعوا إلى إبقاء نفوسهم وحفظ مهجهم إلى

غير ذلك من الأسباب وأما مماليك الأمراء

وغالب السفلية فإنهم كانوا يسيرون في

شوارع القاهرة ومن القصرين هذا

فأصبحوا ظاهرين . والله أعز ذلك ممثلا

بقول الشاعر

فعسى الله أن يأتي بصبح أهله وأن على الباغي

تدور الدوائر

والله تعالى يؤيد مولانا السلطان الملك الناصر نصره على

العدا . وجعله الله على المسلمين دائما أبدا

إن شاء الله تعالى . والحمد لله وحده . خلد الله ملكه

البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر
(محمد بن قايتباي)

/ ١ ب/

البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر ابن السلطان قايتباي

لابن الشحنة

البدر الزاهر في نصرة الملك أ

أودعت فيـه شهادة أن لا إلـه إلا الله محمد رسـول الله

صلى الله عليـه وسلم

عدد أوراقه ماية وثلاثين

* * *

/ ٢ ب /

البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر

بن

المقام الشريف

السلطان المالك الملك الناصر عزّ نصره

في نوبة الفقير يحيى بن محمد الملّاح عفي عنهما

* * *

/ ٣ أ /

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه الإعانة

الحمد لله الذي ملأ بنُصْرة محمدٍ قلوب عباده المسلمين بهجةً وسروراً . وأقرّ به عيون أعوانه المهاجرين ، وشرح لهم صدورا . وكَبَتَ أعداءَه المنافقين ، حتى صاروا يُقذفون من كل جانب دُحورا . ورفع لواء[1] السلطان الملك الناصر بن الأشرف ، وجعله مؤيَّداً /٣ ب / منصورا . وملَّكه الحرمين الشريفين وما معهما من الأراضي المقدّسة وغيرها ليكون عبداً شكوراً . وفضَّله على سائر ملوك العرب والعجم والتُرْك والدَّيْلم ، ورفع له قدرا . ونشر له في الآفاق ذكرا . ولم يَزَلْ به لطيفاً حفيّاً خبيرا . ونصر أولياءَه[2] نصراً / ٤ أ / كبيرا . وكسر مُعاديه كسراً مُبيرا . وأورثه ديارهم وأموالهم،﴿ وَكَانَ ٱللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا ﴾[3] . فسُبْحَانَ مَن أعزّ من عباده مَنْ أحبّه واصطفاه ، وجعل سعيه مشكورا . وأذلّ منهم مَن ابعده وأقصاه ، وزاده إبعاداً ونُفورا . يسيّره في أطراف البلاد شريدا ، وجعله / ٤ ب / بعد الخدم والحشم فريداً وحيدا . وقضى عليه بعد العزّ بالهوان ، فعاد ذليلاً حقيرا .

أحمد الله سبحانه حمداً طيّباً مباركاً فيه كثيرا ، وأصلّي وأسلّم على سيّد الخلق محمد المبعوث الى كافة الناس بشيراً ونذيرا . وداعياً الى الله بإذنه

(١) في الأصل « لوأ » .

(٢) في الأصل « أوليأه » .

(٣) قرآن كريم ـ سورة الأحزاب ـ الآية ٢٧ .

وسراجاً /٥ أ / منيرا . وأُرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ والشيطان اللعين قد ملأ الأقطار بُهتاناً وزُورا . يعِد أتباعه فَرَحاً يستحيل ترحا . وسروراً ينقلب شُرورا . فلم يزل ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجّر من خميس الجيوش بحوراً . ويقطع بسيف الشرع أعناقاً ونحورا . حتى ملأ الأكوان /٥ ب / نورا . فصلّى الله وسلّم على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً دائمين أعصاراً ودهورا .

وبعد ، فهذا كتاب جليل ، محلّه من الكتب محلّ الدُّرَّة من الإكليل . أمْرَعَتْ قَطَرَاتُه ، وأيْنَعَتْ ثَمَرَاتُه ، وأشْرَقَتْ أنوارُه ، ونيّرته ،

شعر : [الواقر]

/ ٦ أ / كتاب في سرايره سرور　　مناجيه من الأحزان ناجي
فكم معنىً بديعٍ تحت لفظٍ　　هناك تزاوجا كل ازدواج
كراحٍ في زجاجٍ أو كروحٍ　　سَرَتْ في جسمٍ معتدل المزاج

جمعت فيه ما اتفق لمولانا السلطان /٦ ب / الزاهد العابد العارف ، صاحب اللطائف والمعارف . العادل في الحكومات ، الحاضر الذهن في المهمّات ، ذي الذهن الثاقب ، والفكر الصائب . والرأي الرشيد ، والنظر السديد . المؤيَّد ، المسدَّد ، المحفوظ ، الملحوظ . الناصر المنصور ، المتيقِّظ لمهمّات الأمور . الحافظ لكتاب /٧ أ / الله ، التابع لسُنّة رسول الله . سيّد الملوك والسلاطين ، مُغني الفقراء والمساكين . سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، الإمام الأعظم ، والملك المكرَّم ، ملك البرّين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين . سيد ملوك العرب والعجم ، القائم بإقامة / ٧ ب / الشرع الشريف على قدم . مَن عُقدت بعده الخناصر ، وشُنّفت بذكره الأسماع ، وبرؤيته الأعين البواصر . وضُربت الى محلّه السامي آباط الإبل بالمخاصر ، مولانا السلطان المالك الملك الناصر . صاحب الخيرات والصدقات ، الملقّب بأبي السعادات . ذي القدر الأمجد ، والسعد /٨ أ / الأسعد . سميٍّ سيّدنا ونبيّنا محمد . لا زال مالكاً لنواصي الأمم ، مرفوعاً عَلَمه على كل عَلَم . وما زال الزمان مبتهجاً بوجوده ، والسعد يلحظه والحق

يحفظه بكرمه وجوده . وما فتئت بشائر التهاني تطرق باباً علاه عشيّاً وغُدُوّا ، وتوصله من خصائص المسرّات بما يكبُت /٨ ب / حسوداً ويخذل عدوّا . ابن السلطان السعيد ، الشهيد ، الزاهد ، العابد ، الصائم ، القائم ، الحاجّ الى بيت الله الحرام ، الزائر قبر نبيّه محمد ، عليه أفضل الصلاة والسلام . صاحب التواريخ والسِّيَر ، والآثار التي فاق بها على من تقدّم وغبر . المالك الملك الأشرف ابن الناصر قايتباي ، تغمّده الله بالرحمة (والرضوان)[1] ، /٩ أ / وأسكنه فسيح الجنان . سن الأمر العجيب ، والخبر الغريب . من خروج أمرائه بأجمعهم عن الطاعة ، ونُصرة الله تعالى له في ساعة . وكيف خذلهم الله في أقرب وقت وأسرعه ، وفرّقهم في الآفاق ومزّق عسكرهم بأجمعه . فصاروا عِظة للمتّعظين ، وتذكرة للمتذكرين .

وسمّيته :

« البدر الزاهر / ٩ ب / في نُصرة الملك الناصر »

والله تعالى يحفظه من كيد الكائدين ، ومكر الماكرين . بمنّه وكرمه ، وجوده ونِعَمه ، لا ربّ غيره ، ولا مأمول إلّا خيره .

ورتّبته على أربعة أبواب :

الباب الأول :

في ابتداء سلطنته الشريفة . /١٠ أ / أدام الله أيامه ، ونشر في الخافقين أعلامه .

الباب الثاني :

في ذكر نُبذة من كرمه ، دالّة على محاسن شِيَمه .

الباب الثالث :

فيما وقع له من النصر والتأييد ، وما أبداه من الحزم والتسديد .

---

(١) كُتبت بالهامش .

الباب الرابع :

/ ١٠ ب / فيما رُؤي له من المنامات ، وما نطق بـه أصحاب الأحـوال والكرامات . مما دلّ على نُصرته وسموّه ، وعِظم شأنه وعُلوّه .

جعله الله على المسلمين دائما ، وبهم رؤوفاً وراحما . ورفع له في كل قُطْرٍ رايه ، وخذل من خالف أمره ورايه .

* * *

البَابُ الأول

/ ١١ أ/ الباب الأول

« في ابتداء سلطنته الشريفة »

أدام الله تعالى أيامه ، ونشر في الخافقين أعلامه

إعلم ، أيّدك الله بروحٍ منه ، انه لا بدّ من تقديم مقدّمة في أول هذا الباب ، تكون موصلة الى المقصود ، بعون الملك المعبود .

وذلك أن السلطان الملك الأشرف والد المقام /١١ ب / الشريف ، نصره الله تعالى ، كان له نظر تام ، ومعرفة كاملة ، يعرف ذلك من لاحظ أموره ، ونظر في تاريخه ووقائعه ، وحكومته وتدبيره في أمور عساكره وجنوده . وكان يُظهر الميل الى الأمير « قانصوه »[١] أمير أخور كبير[٢] كان في أول الأمر ، ويقدّمه ويقبل شفاعته . ويُخرج الإ(قطاعات)[٣] بسؤاله ، ويُعطي الأمراء الوظائف بإشارته /١٢ أ / ولم يكن ذلك من السلطان الملك الأشرف ، رحمه الله رحمةً واسعةً إلّا على سبيل الامتحان والاختبار ، ليُعرف بذلك أمره ، وما هو مُضمره . فعلم ما أراد علمه منه ثم أهمله . وهكذا كان شأنه ـ رحمه الله ـ وكان لهُ اطّلاع تام على أحوال الناس .

ثم إنه ـ رحمه الله تعالى ـ لاحظ أمراء عسكره بفراسته ،وحسن تدبيره وسياسته

---

(١) يسمّيه ابن اياس وابن طولون الدمشقي : « قانصوه خمسمائة » .

(٢) المتحدث على اصطبل السلطان وخيوله ، وعادته أن يكون مقدّم ألف يتحدث فيها حديثاً عاماً ، وهو الذي يكون ساكناً بإصطبل السلطان ، ودونه ثلاثة من أمراء الطبلخاناة . (صبح الأعشى ٤/١٨ و ١٩) .

(٣) كتبت بالهامش .

(ليقدّم)[1] /١٢ ب / من يستحق التقديم منهم . فلم يجد من يصلح لذلك إلا ابن عمه الأمير المعظّم ، والبطل المكرّم ، المقرّ الأشرف ، الأمير آقبردي،[2] ، فولّاه الدوا(دارية)[3] الكبرى (وغيرها)[4] عوضاً عن الأمير « يشبك من مهدي »[5] ، بعد وفاته في بلاد الشرق مقتولاً[6] . فكان كما قال الشاعر : [المتقارب]

فلم تك[7] تصلح إلّا له ولم يك[8] يصلح إلّا لها

/١٣ أ / وقدّمه وقرّبه ، وأخرج الإقطاعات والأخباز بسؤآله ، وأجرى أمور المملكة على يده ، فنصح وجدّ واجتهد ، وجعل الأمور الشريفة نُصب عينيه لا يخرج عما كان يأمره به المقام الشريف المرحوم طرفة عين . فعظُم قدره ، وزاد علوّه ، وانتشر ذكره . وسلّم اليه المقام الشريف قياده ، وجعل إليه إصدار الأمر وإيراده ، /١٣/ب / يعزل من يريد عزله بإشارته ، ويولّي من أراد ولايته بعنايته ، وأضاف اليه مع الدوادارية الكبرى : الأستادارية [9] ، والوزارة[10] . وغير ذلك من الوظائف السلطانية . وصارت

---

(١) كُتبت بين السطور .

(٢) هو الامير آقبردي من علي باي . خلع عليه السلطان الأشرف قايتباي وقرره في الدوادارية الكبرى في ٤ من شهر المحرم سنة ٨٨٦ هـ . توفي بحلب سنة ٩٠٥هـ . (مفاكهة الخلان ١ /٢٢٣) .
أما الدوادارية فقال في « مسالك الأبصار » : وموضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغ عامة الأمور وتقديم القصص اليه ، والمشاورة على من يحضر الى الباب الشريف وتقديم البريد . . وكانت في ايام الناصر محمد بن قلاوون وما تلاها ليس فيها امير مقدم ألف ، ثم آل الأمر الى أن صار الأعلى منهم مقدم ألف . (صبح الاعشى ٤ /١٩) .

(٣) كُتبت بالهامش .

(٤) كُتبت بالهامش .

(٥) قُتل عند الرها في العشر الأخير من رمضان سنة ٨٨٥ هـ . (بدائع الزهور ٣ /١٧١) .

(٦) في الأصل « مقتول » .

(٧) في الأصل تكن . . .

(٨) في الأصل : يكن .

(٩) وهي التحدث في امر بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب خانيه والحاشية والغلمان . (صبح الاعشى ٤ /٢٠) .

(١٠)أجلّ الوظائف وأرفعها رتبة لو لم تخرج عن موضوعها وتقدّم عليها نواب السلطنة وصار المتحدث فيها كناظر المال لا يتعدّى الحديث فيه . وصار يليها اناس من أرباب السيوف والأقلام . وأبطلها الناصر محمد بن قلاوون وصار ما يتحدث فيه الوزير منقسماً الى ثلاثة : ناظر المال ، وناظر الخاص ، وكاتب =

كُشّاف[1] البلاد وعمّاله من تحت أوامره فحسده الأمير « قانصوه » المذكور وغيره من الأمراء ، وأظهروا له الحسد ، وهو مع ذلك يُتحِفهم بالهدايا / ١٤ أ / والأموال والخلع وغير ذلك . وكلما بالغ في الإحسان إليهم زاد حسدهم .

قال الشاعر : [الطويل]

[و]دارَيْتُ كلَّ الناسِ ، لكنَّ حاسداً مُداراته عزَّتْ وشطّ نَوالُها
وكيف يُداري المرءُ حَاسِدَ نِعْمةٍ إذا كان لا يُرضيه إلا زَوالُها ؟

وقال آخر يحث على الصبر على الحاسد : [مجزوء الكامل]

١٤ب/ إصبِر على حسد العدّو فإنَّ صَبْرَكَ قاتلُه فالنارُ تأكل نفسَها إنْ لم تجِدْ ما تأكُلُه

إلى أنْ توعّد المقام الشريف الملك الأشرف ، في أثناء سنة تسعمائة . فحدّث الأمير « قانصوه » المذكور نفسه بالسلطنة ، فلبس درعاً تحت ثيابه ، وهجم على السلطان الملك الأشرف ، وهو في شدّة توعّكه . فلما / ١٥ أ / وقع بصر السلطان الملك الأشرف عليه أخذه الرعب والفزع ، وداخله الخوف والجزع ، ثم خرج هارباً .

وتفطّن بعض الأمراء لما هو فيه ، وما الذي قصده ، ورأى عليه اللبسة ، فأخبر بذلك المقام الشريف الملك الأشرف ، فأشار الى المماليك السلطانية فنزلوا الى البيت المذكور فنهبوه وهدموه .

وهذا أول أمرٍ / ١٥ ب / تحرَّك فيه فانعكَسَ .

ولقد صدق من قال :

« من طلب شيئاً قبل أوانه ، عوقب بحرمانه » .

ثم عفا عنه السلطان الملك الأشرف ، ولم يؤاخذه بما صدر منه . فلم

= السر . ولما عادت الوزارة بعد ذلك صارت الى ما كانت عليه من الاقتصاد على التحدث في المال . ولوظيفة الوزارة اتباع كثيرة . (صبح ٤ /٢٨ و٢٩) .

(١) كان بمصر كشّافان أحدهما بالوجه القبلي والآخر بالوجه البحري . والكاشف من أمراء الطبلخاناه . (صبح الأعشى ٤ /٢٥) .

يلبث إلا أياماً يسيرة حتى تحرّك أيضاً ، وتحرّك معـه مُضافيـه من الأمراء[1] ، واجتمعوا في بيت « أزْبَك » [2]أمير كبير كان ، وتحالفوا عنده عـلى الخروج عن /١٦ أ / الطاعة ، وركبوا .

وأُعلم السلطان الملك الأشرف بما عزموا عليـه ، فأمـر بنصب الصنجق السلطاني[3] ، وإشهار النداء ، بأنّ من كان طائعاً للسلطنـة الشريفـة فليدخـل تحت الصنجق السلطاني . وكان ذلك صـادراً عن رأي الأمير « تـاني بك قُرا » رأس نوبة النواب . [4]فنُصب الصنجق السلطاني ، وأُشهِر النداء بما بـرزت به المراسيم الشريفـة /١٦ ب / فدخـل الأمراء تحته[5] ، واختفى « قانصـوه » المـذكور ، وهـرب الألفي[6] ، واختفى الشامي ،[7] وقُبض عـلى الأمـير كبـير « أزْبَك » ، وعلى الأمير « يشبك الجمالي »[8] أحد المقدَّمين .

وتفرّق جمع « قانصوه » المـذكور ، وانعكس من وافقـه على مثـل رأيه . وفُـرِّقوا في البـلاد ، فوُجّـه الأمير كبـير « أزْبك » إلى مكّة المشـرّفـة ، والأمـير « يشبـك الجمالي » الى بيت المقـدس [9] وحصلت شفاعـة بقـانصـوه /١٧ أ /

(١) ذكـر ابن اياس اسـماء بعضهم : قانصـوه الألفي احد الأمـراء المقدمـين ، وقانصـوه الشامي ، وبـرسباي الخسيف ، وقرقماس الشريفي ، وأسنباي المبشّر ، وقايتباي المبشّر ، وأزبك قفص . . (بدائع الزهور ٣١١/٣) .

(٢) كان ذلك في ذي الحجة سنة ٩٠٠ هـ . وقـد تم الاجتماع في بيت « أزبك الظاهري » الـذي أنشأه في الأزبكية . (بدائع ٣١١/٣) (مفاكهة ١٦٦/١) .

(٣) لفظ تركي يُطلق أصلاً على الرمح ، والمراد هنا الراية السلطانية التي تُربط بالرمح ، وهي من حرير أصفـر مطرزة بالذهب ، وعليها ألقاب السلطان (صبح الاعشى ٤٨/٤ و٤٥٦/٥ و٤٥٨) .

(٤) وظيفة يقوم اصحابها بالحكم على المماليك السلطانية والأخذ عـلى أيديهم . وقـد جرت العـادة ان يكونـوا أربعة امراء ، واحد منهم مقدم الف وثلاثة طبلخاناة . (صبح ١٨/٤ ، العصر المماليكي ٤١٨) .

(٥) ذكر ابن اياس اسـماء بعضهم : تمراز الشمسي أمـير سلاح ، وتـاني بك الجمـالي امير مجلس ، واقبـردي الدوادار الكبير ، وأزبك اليوسفي رأس نوبة النوب ، وتاني بك قراحاجب الحجاب . . (بدائع الزهور ٣١١/٣ و٣١٢) .

(٦) هو قانصوه الألفي احد الأمراء المقدمين . (بدائع ٣١١/٣) .

(٧) هو قانصوه الشامي احد المقدمين . (بدائع ٣١١/٣) .

(٨) كان احد المقدمين والزردكاش الكبير ، (بدائع ٣١١/٣) قال ابن طولون انه وضع في رقبته منديلاً وكذلك أزبك ودخلا على السلطان طائعين . (مفاكهة الخلان ١٦٦/١) .

(٩) مات هناك قريبا من هذا التاريخ ، وكان من خواصّ السلطان . (بدائع الزهور ٣١٤/٣ و٣١٥) .

الشامي فأنعم عليه بنيابة حماه،[1] وقُبض « قانصوه الألفي »[2] فقُيّد ، وحُبس في قلعة صفد[3] . وتفرّق أتباعهم من الأمراء العشراوات ، فمنهم من جُهّز الى الشام ، ومنهم من أُرسل الى طرابلس[4] . فهذا كان عاقبة أمرهم[5] .

ولقد صدق القائل حيث قال :

اللئيم كالنار ، إكرامها إضرامها . وكالخمر حبيبها سليبها ، وتبيعها صريعها .

وقال /١٧ ب / بعض الحكماء :

إذا كانت الإساءة طبْعاً ، لم يملك الإنسان لها دفعا .

وهذا ثاني أمرٍ تحرَّك فيه فانعكس عليه تدبيره .

ثم أنعم السلطان الملك الأشرف على الأمير « تِمْراز »[6] بالإمريّة الكبرى ، وعلى الأمير « شادبك »[7] بوظيفة الأمير « قانصوه » المذكور . وفُرِّقَت وظائف بقية الأمراء[8] .

ولم يزل « قانصوه » المذكور مختفياً[9] إلى /١٨ أ / أنْ توعّك السلطان الملك الأشرف ، في أواخر سنة إحدى[10] وتسعمائة . واتفق أن الأمير

---

(١) بدائع الزهور ٣/٣١٣ .

(٢) انظر الملحوظة رقم (٦) في الصفحة السابقة .

(٣) بدائع الزهور ٣/٣١٣ .

(٤) هي طرابلس الشام وكانت عاصمة لنيابة السلطنة منذ أن استرجعها المنصور قلاوون من ايدي الصليبيين في سنة ٦٨٨ هـ . /١٢٨٩ م . (تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور - د. تدمري - ج ١٥/٢) .

(٥) راجع هذه الفتنة في بدائع الزهور حيث ذكر أسبابها (٣/٣١٠ - ٣١٣) .

(٦) هو تمراز الشمسي . قرّره السلطان الأشرف في الأتابكية في يوم الاثنين مستهل صفر سنة ٩٠١ هـ . (بدائع ٣/٣١٦) .

(٧) هو شاد بك من مصطفى المعروف بأخوخ ، خلع عليه السلطان الأشرف وقرره أمير آخور كبير في ربيع الآخر سنة ٩٠١ هـ . (بدائع ٣/٣١٧)

(٨) انظر : بدائع الزهور ٣/٣١٦ .

(٩) في الأصل « مختف » .

(١٠) في الأصل « أحد » .

« آقبردي »الدوادار كبير أحضر « كرتباي الأحمر » كاشف البحيرة ،[1] وأمر بأن يُعمل حسابه على ما دخل تحت يده . فهرب من بين يديه ، وخرج فاختفى أياماً . واتفق مع بعض الأمراء وطائفة من المماليك السلطانية على الركوب ؛ لطلب الأمان /١٨ ب / لقانصوه المذكور ، ثم ركبوا واجتمعوا في الرميلة ، وطلبوا مجيء المذكور وإحضار بقية الأمراء الغيّاب . فنودي لقانصوه المذكور بالأمان فظهر ، وقبّل الأرض للمواقف الشريفة ، ثم نزل الى بيته ، ونزل العسكر معه ، والمقدّمون ، وأمراء الطبل خاناه ،[2] والأربعينات ، والعشروات ، والخاصكية ،[3] وغالب المماليك السلطانية معه الى بيته ، وذلك /١٩ أ / بإشارة المقام الشريف ، وأغدق عليه بالأنعام الأمير « آقبردي » الدوادار ، فأرسل اليه من خيول الخاص ، والبغال ، والجمال ، والبَرْك[4] ، والخِلَع ، والقماش شيئاً كثيراً . ثم أردف ذلك بمالٍ عظيم أرسله إليه[5] .

وبرزت المراسيم الشريفة بإطلاق المحبوسين ، ورجوع الأمراء الغيّاب ، خلا عن أمير كبير ، وأما الأمير « يشبك الجمالي » /١٩ ب /[6] فإنه مات في أثناء هذه المدة ببيت المقدس .

وركب الأمير « قانصوه » الى بيت الامير « آقبردي » الدوادار ، وحلف

---

(١) كان الكاشف من أمراء الطبلخاناة وهو تحت إمرة نائب الوجه البحري . (صبح ٤/٦٥) والبحيرة من أعمال الوجه البحري في مصر .

(٢) معناه بيت الطبل ويشتمل على الطبول والأبواق وتوابعها من الآلات . ويحكم على ذلك امير من امراء العشرات يعرف بأمير علم يقف عليها عند ضربها في كل ليلة . (صبح ٤/١٣) وعدّة أمراء الطبلخاناة في الغالب أربعون فارساً ولا تكون لأقل من ذلك . (٤/١٥) .

(٣) جماعة من حاشية السلطان يأتون بعد الأمراء المقدمين . كان عددهم اول الأمر ٢٤ ثم زادوا على ٤٠٠ وتمتعوا بمكانة كبيرة اذ كانوا يدخلون على السلطان في اوقات فراغه في خلواته بغير إذن . وامتازوا بحسن المظهر وأناقة الركوب والملبس . (زبدة كشف ١١٥ النجوم ٧/١٧٩ إنباء الهصر ٤١١) .

(٤) لفظ فارسي معناه المتاع الخاص من الثياب والقماش . (السلوك ـ ج ١/١٣٤ و ١٩٠ ، النجوم ١١/٥٤ حاشية رقم ٢) .

(٥) ذكر ابن اياس ان السلطان رسم لقانصوه ان يأخذ تحت إبطه ثوباً بعلبكياً حتى يرقّ عليه قلب العسكر ، بمعنى انه جاء وكفنه تحت إبطه . (بدائع الزهور ٣/٣٢٢) .

(٦) على هامش الصفحة كُتب : « رحمة الله عليه وعلا كاتبه ومالفه وقاريه » .

له الأيْمان الأكيدة على الاجتماع على الطاعة والموافقة له فيما يريد ، وعدم المخالفة .

واشتدّ توعّك السلطان الملك الأشرف . واجتمع الى الأمير « قانصوه » المذكور مضافاته ، وتطاولوا الى سلطنته /٢٠ أ / بعد وفاة السلطان الملك الأشرف ، وأظهروا ذلك.

وقد كان السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي ، رحمه الله رحمة واسعة ، جمع الأمراء بأجمعهم قبل هذه الوقائع وحلّفهم الأيْمان الأكيدة ، وأخذ عليهم العهود والمواثيق أن لا يُدخلوا ولده في شيء من أمورهم ، ولا يتعرّضوا إليه في سلطنة ولا غيرها ، وأن يفعلوا معه كما فعل /٢٠ ب / مع اولاد الملوك الذين كانوا في زمنه ، فإنه أنعم عليهم ومكّنهم من الركوب والتصرّف والسفر ، ولم يعارضهم في شيء من أمورهم .

وكان قد بنى له البيت المطلّ على بركة الفيل[1] الذي لم يبن أحد في القاهرة مثل بنائه ولا حُسن ترتيبه .

وكان الأمير « آقبردي » الدوادار معوّلا على سلطنة /٢١ أ / مولانا السلطان ، ولد المقام الشريف الملك الأشرف . فلما تطاول الى السلطنة من تطاول ، إنقسم الأمراء فرقتين :

فرقة مع الأمير الدوادار ، وفيهم : الأمير كبير « تمراز » ، والأمير أخور كبير « شاد بك » ، والأمير « أيْنال الخسيف » حاجب الحجّاب[2] والأمير « كرتباي » ابن عم المقام الشريف ،[3] وآخرون من الأمراء .

---

(١) بين مصر والقاهرة ، كبيرة جداً ، لم يكن في القديم عليها بنيان . ولما وضع جوهر القائد مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة . . عمّر الناس حولها بعد سنة ٦٠٠ هـ . حتى صارت مساكنها أجلّ مساكن مصر كلها . (المواعظ والاعتبار ٢/١٦١) .

(٢) هو القائم مقام النائب في كثير من الأمور . ويكون صاحبها من مقدّمي الألوف . والحجوبية ان ينصف صاحبها بين الأمراء الجند تارة بنفسه وتارة بمراجعة النائب إن كان . (صبح الأعشى ٤/١٩) .

(٣) يُقصد به السلطان .

وفرقة مع « قانصوه المذكور » ، وفيهم : « كرتباي الأحمر »/٢١ ب / وبعض الأمراء .

وكثر الهرج والاختلاف بينهم . وأشيع موت السلطان الملك الأشرف ، فأشار بعض الأمراء على الأمير الدوادار [آقبردي][1] بأن يصعد القلعة [2] ويملكها . فخشي على خاطر المقام الشريف ، وصعد الأمير كبير « تمراز » الى القلعة ، وطيّب خاطر السلطان الملك الناصر ـ نصره الله تعالى وسكّن روعه ـ .

وأما « قانصوه » المذكور ، فإنه هجم على القلعة وكسر بعض /٢٢ أ / أبوابها ، وصعد بمن معه ، فرأوا الأمير كبير « تمراز » في القلعة ، فقبضوا عليه .

وظهر بُطْلان ما كان قد أشيع من موت السلطان الملك الأشرف أبي النصر قايتباي ، تغمّده الله تعالى برحمته وأسكنه فسيح جنته ، وأنه كان قد أغمي عليه ، فخافوا من سطوته ، وسقط في أيديهم ، ورأوا أنهم قد ضلّوا ، فسعوا في الخلاص مما /٢٢ ب / صدر منهم ، فلم يجدوا ما يخلّصهم من ذلك إلّا السعي في تولية المقام الشريف الملك الناصر ، ضاعف الله نصره وتأييده ، وخلّد ملكه وأدام تأييده . فعزموا على ذلك ، وعوّلوا أنه إذا توفي المقام الشريف الملك الأشرف رفعوا مولانا السلطان المالك الملك الناصر . واستقلّ بالأمر « قانصوه » المذكور .

هذا /٢٣ أ / ما عوّلوا عليه ، فجاء حساب الدهر غير حسابهم .

ولما سمع الأمير الدوادار بأن « قانصوه » المذكور ومن معه صعدوا القلعة ، وقبضوا على الأمير كبير « تمراز » خشي أنه إنْ تحرك بشيء قُتل من الفريقين خلق كثير وانتشرت الفتنة ، وحصل للمسلمين ضرر بالغ . صرف

---

(١) إضافة على النص للتوضيح .

(٢) هي قلعة الجبل القائمة حتى الآن فوق جبل المقطّم شرقيّ القاهرة ، أنشأها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي في سنة ٥٧٢ هـ . وأتم بناءها الملك الكامل محمد ابن الملك العادل في سنة ٦٠٤ هـ . وأنشأ بها الدور السلطانية ، واستمرت منذ ذلك التاريخ دار مملكة مصر .

الأمــراء المجتمعــين عــنــده ، وتغيّب هــو والأمــير « أيْنــال » ، والأمــير « قانم » ، /٢٣ ب / والأمير « شاذبك » والأمـير « جانم » والأمـير « كرتبـاي » ابن عم المقام الشريف (ـ نصره الله ـ)[١] . وتفرّق بقية الأمراء .

وأحضر « قانصوه » المذكور الخليفة[٢] ، والقضاة الأربع[٣] ، وذكر لهم أن المقام الشريف الملك الأشرف قد عجز عن تدبير المملكة لشدّة توعّكه ، وأن الأمـراء قد اتفقـوا على تـولية ولـده الملك الناصـر . فعند ذلـك خُلع السلطان الملك الأشرف /٢٤ أ / وخطب الخليفة وبايع مولانا السلطان الملك الناصـر ، ولد السلطان الملك الأشرف ، وقلّده أمور المسلمين ، فقبـل تقليده بعـد امتناع شديد ، من مولانا السلطان الملك الناصر ، نصـره الله تعالى . وأُفيضت عليـه خلعـة سوداء ، ونُعت بـالملك الناصـر ، ولُقِّب بأبي السعـادات . وكان اسمـه الشريف « محمد » .

وجلس على تخت المملكة ، /٢٤ ب / وقبّـل الأمراء كلهم لـه الأرض على العادة ، وأُلبس الخليفـة التشريف ، ودُقّت البشـائر بـولاية السلطان الملك النـاصر ،(نصـره الله)[٤] . وذلـك نهار السبت سـادس عشـرين ذي القعـدة الحرام ، سنة إحدى[٥] وتسعمائة .

وفي صبيحـــة نهار الأحـد تــوفي السلطان السعيـد ، الشهيــد ، الملك الأشرف أبو النصـر قايتبـاي . وكانت مـدة سلطنته /٢٥ أ / ثـلاثون سنـة إلا أشهـر ، دانت لـه فيهـا البـلاد ، وخضعت لـــه العبـاد ، وعمّــر المـدارس ، والجوامع ، ولم يُخْل مدينـة من مملكته من إنشـاء خيرٍ أو معـروف فيها ، وعمّـر

---

(١) كُتبتا بين السطور .

(٢) هو : المتوكل على الله ابو العز عبد العزيز بن يعقوب العباسي .

(٣) هم : قـاضي القضاة زين الـدين زكريـا الشافعي ، وقـاضي القضـاة نـاصـر الـدين محمـد بن الإخميمي الحنفي ، وقـاضي القضاة عبـد الغني بن تقي المـالكي ، وقـاضي القضـاة بـدر الـدين محمـد السعـدي الحنبلي . (بدائع الزهور ٣/٣٢٤)

(٤) كُتبتا بين السطور .

(٥) في الأصل « أحد » .

مـدرسة معـظّمة بمكـة المشرّفـة ، وعمّر الحـرم النبوي بعـد أن احترق، وأنشـأ مدرسة معظّمة ببيت المقدس . وعمّر الجـامع الأمـوي بدمشق بعـد احتراقـه . وأنشـأ مساجـد وجـوامـع /٢٥ ب / كثيـرة ، ومـدارس ، ورُبَط . وخيـراتـه وصدقاته اكثر من أن تُحصى[١] .

وأخـذ في جهازه ولـده السلطان الملك النـاصـر أبـو السعـادات محمـد ، فغُسّل وكُفّن ، وصُلّي عليه بالقلعة المنصورة ، وحُمل نعشه عـلى أعناق الـرجال وسائر الأمراء والعساكر ، وجميع المماليك السلطانيـة ، وغيرهم ، والأعيـان ، والرؤساء ، والقضاة ، والفقهاء ، والفقـراء ، /٢٦ أ / والصوفيـة ، والرعـايا مُشـاة يضجّون ويبكـون ، حتى دُفن بتـربتـه التي أنشـأهـا بـالصحـراء خـارج القاهرة . وكان يوماً مشهوداً لم يُسمع بمثله .

وخلع السلطان الملك النـاصـر ، نصـره الله تعـالى ، عـلى « قـانصـوه » المذكور ، واستمر في الإمرية الكبرى عوضاً عن الأمير « تمراز » .

وجُهّز الأمير « تمراز » الى الإسكندرية ، وكُتب الى مكّة المشـرّفة كتـابٌ بالعزّ /٢٦ ب / والهناء ، والقبض على الأمير « تاني بك قُرا » .

وكان قد خـرج في تلك السنة أمـير الحاجّ ، فقُبض عليـه ، وأُحضر الى القاهرة ، ثم جُهّز الى الإسكندرية . وهو أول من قبّـل الأرض للسلطان الملك الأشـرف والد المقـام الشريف ، نصـره الله . ولم يبلغ السلطان الملك الأشرف عنه هفوة ، ولا وقعت منه ذلّة . وكان يقدّمه ويعظّمه ويستصوب رأيه ، فمات وهو عنه راضٍ .

/٢٧ أ/ وقدم الأمراء الذين كانوا بدمشق ، وطرابلس وحماة ، وصفد[٢] فخُلع على الأمير « قانصوه الشامي » واستقرّ رأس نوبة

(١) من آثار السلطان قايتباي : البرج الحربي القائم على ساحل البحر بطرابلس الشام ، وهو المعروف ببرج رأس النهر ، وقد بني في سنة ٨٨٢ هـ . /١٤٧٧ م . ويحتمل أنه أمر ببناء البرج في بلدة كفر قاهل بالكورة والذي ما تزال آثاره قائمة الى الآن . (انظر كتابنا : تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ ج ٢/٢٦٧ ـ بيروت ـ ١٩٨١) وراجع عن أعماله (بدائع الزهور ٣/٣٢٩) .

(٢) وهم : قـانصوه اليحيـاوي نائب دمشق ، وأينـال بأي نـائب طرابلس ، وقـانصوه الشـامي نائب حمـاه ، وكرتباي نائب صفد .

النـواب(١) . وعلى « الألفي » واستقـر أمير أخـور كبير(٢) . وعـلى « تـاني بـك الجمالي » واستقر أمير سلاح ، ونظام الملك ، وعلى « كـرتباي الأحمـر » واستقر كـاشف الكُشّاف ، ومقـدّماً ، واستاداراً ، ووزيراً(٣) . وعـلى الأمير « جـان بُـلاط »(٤) واستقر في الـدوادارية الكبـرى /٢٧ ب / وعلى الأمـير « مـامـاي » واستقر إمريّة مائة ، وتقدمة .

وجميع من يلوذ بالأمير « قانصوه » المذكور من الأمراء تقدّم كلٌّ على قدر منزلته . ثم خُلع على « يشبك قمر » واستقر في إمرية مـائة ، وتقدمة . وعـلى « مَسُرْبَاي »(٥) ، واستقر والياً . وعلى « كسباي » واستقرّ مقدّماً .

وفُرّقت الوظائف على أتباع « قانصوه » المذكـور ، وصار أمـر المملكة في هـذه الأيام بيـده . /٢٨ أ / وكانت المـواكب تُعمل عنـده ، وإذا نـزل الأمـراء والمباشرون من القلعة المنصورة تـوجّهوا إليـه وعرضـوا عليه مـا وقع من المقـام الشريف في ذلك اليوم . فيأمر بما يريد ، ويقرّ ما يريد ، وينهي عما لا يريـد . وهو مع ذلك كله يدبّر الحيل ، ويصنع المكائد في أخذ السلطنة لنفسه .

وأخـرج غـالب الأمـراء من القـاهـرة ، وفـرّقهم /٢٨ ب / في بيت المقـدس ، وغـزة ، وطـرابلس ، ودمشق ، وغيـرهـا من البـلاد . ولم يبق في القاهرة إلا من هو من حزبه وأتباعه .

وأخرج المماليك الأمراء المذكورين الى الصعيد ، والشرقية ، والغربية ، والمنوفية . ففرّقهم على الكُشّاف ظنّاً منه أن ما عزم عليه يسْلم له .

---

(١) سبق التعريف بها .

(٢) عوضاً عن شادبك أنحوخ : (ابن اياس ٣/٣٤٠) .

(٣) زاد ابن إياس : « وصار صاحب الحل والعقد في تلك الأيام ، فأظهر أشياء كثيرة من انواع العدل ، منها انه ابطل وظيفة نظر الأوقاف ، ونودي بذلك في القاهرة ، فارتفعت له الأصوات بالدعاء ، وأبـطل عدة مكوس ومظالم ، وحجر على البردداریة والرسل والنقباء انهم لا يأخذون من الأخصام اكـثر من نصفين من فضـة ، وأن أحـداً منهم لا يقرر عليـه رسـماً ، ولـو دام كـرتبـاي بمصـر لحصـل للنـاس بـه خـير (٣/٣٣٦) .

(٤) جان بلاط من يشبك . . مات خنقاً في برج الاسكندرية سنة ٩٠٦ (ابن اياس ٣/٤٧٢) .

(٥) ورد عند ابن اياس « مصر باي الثور » المعروف بالشريفي والي القاهرة . (بدائع الزهور ٣/٣١٣) .

« ويأبى الله إلا ما أرادا »

وفي أثناء هذه المدة أشيع في القاهرة وأعمالها / ٢٩ أ / أن الأمير « قانصوه » المذكور أرسل الى مكة المشرّفة لإحضار الأمير « أزبك » ، وأن المذكور وصل الى القاهرة ، وهو مقيم عند « قانصوه » المذكور . وبلغ المقامَ الشريفَ السلطان الملك الناصر ذلك ، فأمر المماليكَ السلطانية بالركوب ، فركبوا وهم باللبس الكامل ، وركب معهم الأمير « تاني بك الجمالي » ، والأمير « كرتباي » / ٢٩ ب / الأحمر ، والأمير « جان بلاط » ، والأمير « ماماي » . وطلب السلطان المالك الملك الناصر ، نصره الله تعالى ، « قانصوه » المذكور إلى حضرته الشريفة ، فلم يمكنه التأخر لعلمه أنه متى تأخر هلك . فحضر والأمراء معه بين يدي المواقف الشريفة ، شرّفها الله وعظّمها ، وأحاطت به العساكر ، وأحدقت إليه بالأبصار النواظر .

ثم (إن)[1] المقام الشريف ، خلّد الله / ٣٠ أ / ملكه ، وثبّت قواعد دولته ، ذكر لقانصوه ما بلغه من مجيء الأمير « أزبك » (أمير كبير وأتابك[2])[3]، فحلف الأيمان الأكيدة ان هذا الأمر ليس له به علم، وأنه متى ظهر الأمير « أزبك » في القاهرة تكون روحه للمقام الشريف .

وفي هذه الأيام اجتمع الأمراء بأجمعهم عند المقام الشريف ، نصره الله تعالى ، وأحضروا المصحف العثماني على ظهر فرس ، وحلفوا / ٣٠ ب / عليه متبرّعين بالأيمان ، من غير تحليف محلِّف ، ولا سؤآلٍ في ذلك ، أن يكونوا مجتمعين على طاعة المقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله تعالى ، مسالمين

---

(١) كُتبت بين السطور .

(٢) اتابك : اصله أطابك ومعناه الولد الأمير. وأول من لُقّب بذلك نظام الدولة وزير ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي حين فوّض اليه ملكشاه تدبير المملكة سنة ٤٦٥ ولقبه بألقاب منها هذا ، وقيل أطابك معناه امير أب ، والمراد ابو الأمراء وهو اكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل ، وليس له وظيفة ترجع الى حكم وأمر ونهي ، وغايته رفعة المحلّ وعلوّ المقام . (صبح الأعشى ١٨/٤) .

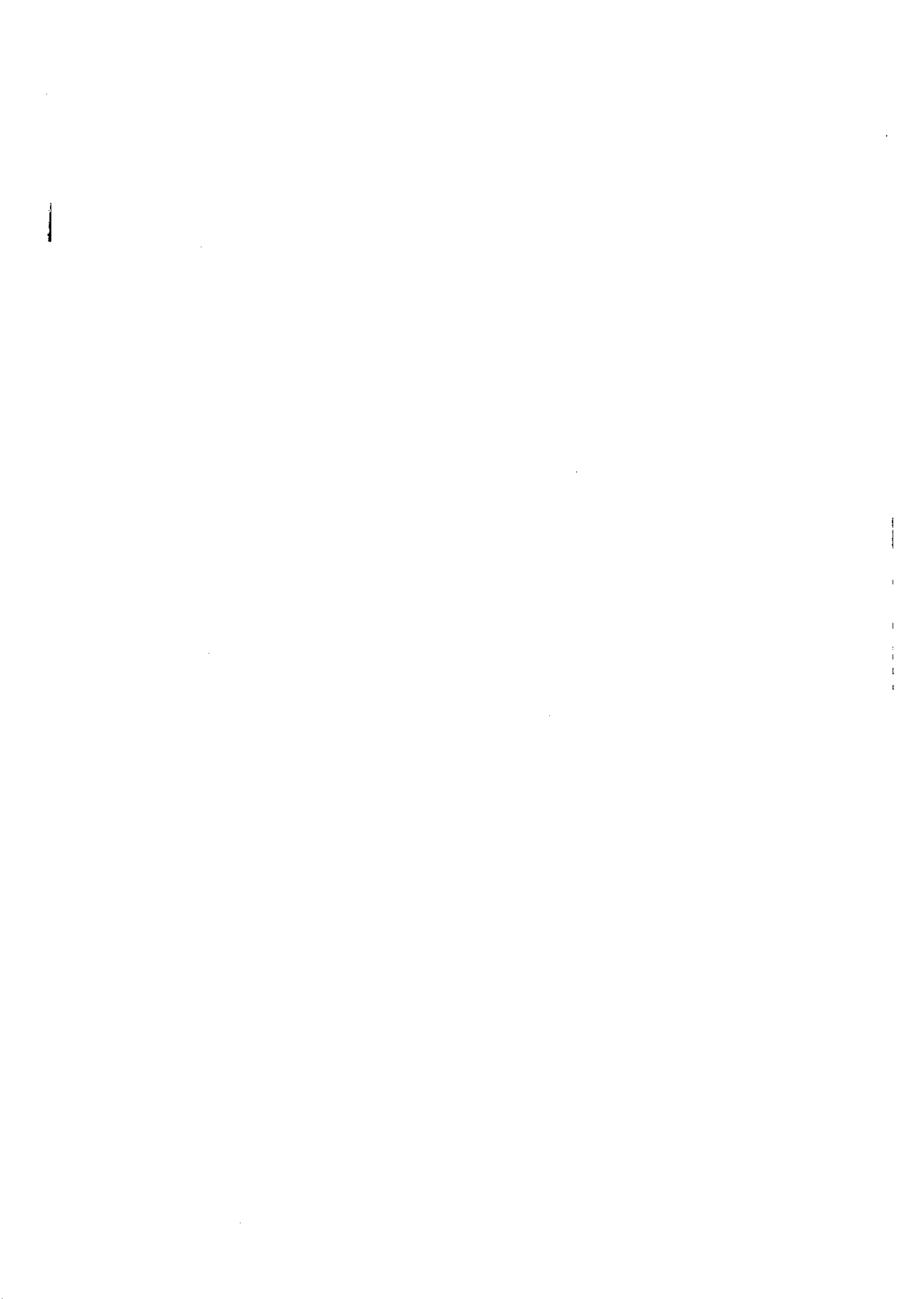
(٣) كُتبت بالهامش .

من سالمه ، ومحاربين من حاربه ، لا يخرج أحد (منهم)[1] عما يرسمه . وتكرّرت الأيْمان منهم على ذلك . فاطمأنت[2] الخواطر ، وانشرحت الصدور بسبب ذلك . وكثر الدعاء للمقام الشريف ، نصره الله .

* * *

(١) كتبت بين السطور .

(٢) في الأصل « فاطمئنت » .



البَاب الثاني



/ ٣١ أ/ الباب الثاني

« في ذكر نُبذةٍ من كَرَمِه ، دالّةٍ على محاسن شِيمهِ »

نصره الله على العِدا ، وخلّد ملكه أبدا

فأقول ، ومن الله الكريم استمدادي ، وإليه في الأمور استنادي :

هذا باب عقدْتُه لذكر نبْذة من كَرَمـه ، (نصره الله)[١] . فمن ذلـك ، ما أبطله ، نصره الله ، من المظالم ، والمكـوس التي كانت /٣١ ب / مقرّرةً على الجُبْن ، والخُضَر ، (والقُلْقاس ، والقمـح)[٢] . يتحصّـل منهـا في كـل يـوم أُلوفاً . وكذلك ، ما أبطله من طرح الزيت وغيره بمصر ، والقـاهرة ، وغـزة ، وبيت المقدس . وكان يتحصّل من ذلك اموالاً كثيرة . وأبطل أشياء أُخَر سوى ما ذكرته .

وأنعم ، خلّد الله مُلْكـه ، بـالإقـطاعـات ، والـرزق ، والأخبـاز عـلى الأمـــراء ، والخاصْكيّة ، والأجنـاد ، وكـل ســائـل ، بحيث أنــه لم يُبق في الذخيرة[٣] (الشريفة)[٤] شيئـاً من ذلك ، بعـد /٣٢ أ / أن كانت مُـوقرةً في أيام والده الملك الأشرف ، رحمه الله .

وأنعم ، زاده الله نصراً ، ونشر لـه في كل قُـطْرٍ ذِكْراً ، عـلى الفقهاء ، والفقراء ، والقرّاء ، وطَلَبَة العِلْم ، بالوظائف المتوفّرة في سائر مَملكته .

---

(١) كُتبتا بين السطور .

(٢) كُتبتا بين السطور .

(٣) في الأصل « الدّخيرة » .

(٤) كُتبت بين السطور .

وأخرج جميع ما كان في الذخيرة الشريفة من أنظار مدارس وغيرها .

وقصده الفقراء ، وعامّةُ (الناس)[1] بالتُّحَف ، كل واحد منهم /٣٢ ب / بما قدر عليه من كل (صنعة)[2] فأنعم على كلٍّ منهم بإنعامات كثيرة لم يسبقه أحد من ملوك الأتراك إليها .

شكا[3] إليه رجلٌ الفَقْرَ وضِيقَ الحال ، فأغنى[4] فقْرَه ، وجَبَرَ كسْرَه .

ورفع آخر قصة فيها : إن له بنتاً استحقت الزواج ، وليس عنده ما يجهّزها به ، فأمر له بمال جزيل .

وقدّم شخص له مُكرَّما[5] شريفاً ، فأمر له بخمسين ديناراً ، /٣٣ أ/ فاستكثرها بعض الأمراء ، فأمر له ، نصره الله ، بماية دينار .

ولو جئت أذكر ما وقع له من الإعطاء والإنعامات ، لَضَاقَ عن حصره الأوراق ، ونفذت الأوقات .

ولقد نزل مرة الى القبة السلطانية التي على الخليج[6] ، فهرع إليه الفقراء والقاصدون ، فأوسعهم عطاءً ، ولم يرجع أحد منهم خائباً .

وفي أثناء هذه المدّة /٣٣ ب / فرّق القرّاء في القاهرة وأمرهم أن لا يتركوا مسجداً ، ولا جامعاً ، ولا معبداً ، ولا مزاراً ، ولا مقاماً لوليّ إلاّ ويقرأون[7] فيه ختمات ، فأقاموا مدة على ذلك حتى استوعبوا جميع أماكن

---

(١) كُتبت بين السطور .

(٢) كُتبت بين السطور .

(٣) في الأصل « شكي » .

(٤) في الأصل « فأغنا » .

(٥) أي مصحفاً .

(٦) خليج قديم يسمّى خليج مصر ، جدّد حفره عمرو بن العاص بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان هذا الخليج يسير في القاهرة من فم الخليج شمال مصر القديمة متجها الى الشمال حتى نهاية المدينة . وقد ردم هذا الخليج في المسافة الواقعة بمدينة القاهرة في سنة ١٨٩٦ م . وحلّ محله شارع الخليج المصري (النجوم ٤/٤٣ ملحوظة رقم ٤)

(٧) في الاصل « يقرؤ ن » .

القاهرة . وفرّق عليهم بسبب ذلك أُلوفاً من الدنانير ، وذبح من الجمال ، والأبقار ، والأغنام شيئاً كثيرا . وفرّقه على فقراء القرافتين[1] ،/ ٣٤ أ / وأماكن الأولياء .

وأمر لمهتاره[2] ، ومهتار والده ، وناظر الكسوة الشريفة ، الحاج رمضان[3] (أعزّه الله)[4] بسبعة آلاف دينار ليفرّقها على القراء ، والفقراء ، والمساكين ، ففعل ذلك .

وترادفت إنعاماته وخيراته على المسلمين فغمرتهم ، فأخلصت القلوب له المحبة والوفا ، ونطقت الأفواه بالدعاء له والثنا .

ولقد ارتفع سعر /٣٤ ب / القمح في أول ولايته حتى بلغ كل إردبٍّ ديناراً ، ففتح شُونه،[5] نصره الله ، وأمر أن ينادى عليها (كل)[6] إرْدَبَّيْنْ بدينار . فاشترى الناس ما احتاجوا إليه وانحطّ السعر بذلك عما كان .

وحاصل ما أذكره من كرمه ، نصره الله ، انه لم يمض وقت من أوقاته إلّا وقد أنعم فيه (بالإنعامات)[7] ، واستغرقه بالخيرات /٣٥ أ / والتفضّلات .

● ● ●

(١) المقبرتين ، إحداهما تُعرف بالامام الشافعي ، عند باب الوزير ، والأخرى بالدرّاسة عند جامع قايتباي وتُعرف بالمجاورين . وهما : الكبرى والصغرى .

(٢) المهتار : لقب يطلق على كبير كل طائفة من غلمان البيوت فيقال : مهتار الشرابخاناه ، ومهتار الطشت خاناه ، ومهتار الركاب خاناه . (صبح ٥/ ٤٧٠ ، النجوم ٤٧/٩ حاشية ٣ ، العصر المماليكي ٤٥٦) والمهتار : جمعه مهاترة ، ولهؤلاء حيّ في طرابلس الشام أسفل القلعة من الجهة الغربية يُعرف بحيّ المهاترة ، وحدوده الجغرافية تقع بين القلعة والجامع المنصوري الكبير .

(٣) يسمّيه ابن اياس : الحاج رمضان مهتار الطستخاناه . (بدائع الزهور ٣١٢/٣) .

(٤) كُتبتا بين السطور .

(٥) بمعنى المستودعات .

(٦) كتبت بين السطور .

(٧) في الأصل « الانعمات » .

وأما ما آتاه الله من الحِكَم ، وفصْل الخطاب ، فهو ما تحيّرت فيه عُقُولُ ذوي الألباب . وقد أحببت أن اذكر هنا واقعةً له ، نصره الله ، وقت نزوله الى القُبّة السلطانية ، وهي :

إن شخصاً رفع لـه ، نصره الله ، قصّـةً فيها انـه حُبس ظُلْماً منذ أربـع سنـين ، من أجـل دبّـوس[1]/ ٣٥ ب / ضـاع لأستـاذه ، فبـرزت أوامـره الشريفة ، شـرّفها الله وعـظّمها ، بـإحضار أستـاذ ذلك المتـظّلم ، فأُحضـر في أقرب وقت وأسرعه ، فأوقفه بين يديه ، وسأله عن سبب حبْس ذلك الرجل ، فـذكر ضيـاع الـدبـوس ، فبـرز أمـره الشـريف ، (نصـره الله)[2] بـإحضـار الـدبابيس السلطانيـة التي في النوبـة ، فأحضـرت ، وأمره أن يختـار له واحـداً /٣٦ أ / منها ، فاختار واحداً ، ثم سأله ، نصره الله ، عن مقدار جـامكية[3] الغلام في كل شهر ، فذكر قدراً ، فبرزت مراسيمه الشريفة ، نصره الله ، بأن يحسب مـا انكسر للغـلام في مدّة حبسـه ، ويدفـع لـه من مـال أستـاذه الـذي حبسـه ، ففعل ذلـك . فتأمّـلْ ، رحِمَك الله ، هـذه الحكومـة ، وحُسْنَ نـظره الشريف فيها . زاد الله شأنه عظماً ، /٣٦ ب / ورفع له في كل قُطْر عَلَما .

ولو ذهبت أذكر ما حواه ، نصره الله ، من خصال الكرم والخيرات ، لم تحـوه الكُتُبُ ولا المجلّدات . كـان الله لـه نـاصـراً ومعيناً عـلى ممـر الـدهـور والأوقات .

ولقد حُق أن يقال فيه : [الطويل]

مليـكٌ رقى في الجود أعـلى[4]مكـانـة   يـزاحم فيهـا للسمـاكـين والنّسْـرِ

(١) سلاح كان يُتقلّد تحت الركبة ، وكان مخصصاً في الغالب لتحطيم الخوذ . ويصنع من الحـديد أو الصلب برؤوس إما كروية أو مضلّعـة او تشكل سـطوحها هيئـة نتوءآت مثلثـة الشكل . ولـه مقبض مستديـر أو مضلّع . (صبح الاعشى ٢/ ١٣٥ الملابس المملوكية ٨٤) .

(٢) كُتبتا بين السطور .

(٣) جمعها جوامك ، الراتب المربوط لشهر أو اكثر . (العصر المماليكي ٤٠٤)

(٤) في الأصل « أعلا » .

جميـلُ الثنا مـا فيـه عيب لعـايب	لـه راحـة أنـدى من القَـطْر والبحـرِ
(٣٧ أ) كريمُ السجايا والخِصال، مُمدَّحٌ	جميل الثنا ، مُـثْرٍ من الحمد والشُكْـرِ
بشوشٌ ، سَمُوحٌ ، أحسنُ الناس منظراً	كثـيرُ الحيـا والجُـود والخـير والبِـرِّ
لطيفُ المعاني ، للقلوب مُحبَّبٌ	كأن سجاياهُ رِياضٌ من الزهر
لقـد جمـع الـرحمن فيـه محـاسنـاً	ووفّـقـه للخـير في السِّـر والجَهْـر
وألـقى عـليـه للعـبـادِ محبّـة	وأطلق منهم ألسُن الحمد بالشكرِ
فـما ردّ يـومـاً سـائـلاً لـنَـوَالِـه	ولا قال : لا ، في كسْبِ خيْرٍ ولا أجرِ

/٣٧ ب / وأمـا شجاعتـه ، نصره الله ، فـإلى الغـايـة القصـوى ، والـدرجـة العليا . ومن أعظم دليـل على ذلـك (ما أذكـره)[١] في الباب الـذي يلي هـذا (الباب)[٢] فإنه أمر عظيم ، وخطْب جسيم لم يقع لأحد من الملوك الماضين ، ولا حَـوَتْ مثله تواريخ المؤرخين . فلولا شجاعتـه ، نصـره الله ، وثبـاتـه ، وحسن تدبيره وسياسته ، وعظيم /٣٨ أ / معرفته ، وثبات جنانه ، ومعونة الله تعالى له لما أدبر من أدبر وتأخر من تأخر ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ الله يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣] . ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٤] ، ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ ، وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٥] . ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم .

* * *

(١) كُتبتا بين السطور .

(٢)كتبت بين السطور .

(٣) قرآن كريم ـ سورة الحديد . الآية ٢١ .

(٤) قرآن كريم ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٢٦ .

(٥) قرآن كريم ـ سورة الروم ـ الآية ٥ .

البَاب الثالث

/ ٣٨ ب/ الباب الثالث
فيما وقع (له)[١] من النصر والتأييد ، وما أبداه من الحزم والتسديد.

قد تقدم في الباب الأول من هذا الكتاب ، ما وقع من اختلاف الأمراء ، وغيبة الأمير «آقبردي » دوادار كبير ، والأمير « شاد بك » والأمير « قانم » ، والأمير « أينال » ، والأمير « جانم » ، وإرسال الباقين / **٣٩** أ / الى البلاد الشامية ، وغيرها ، واجتماع الأمراء ، وحلفهم للمقام الشريف ، نصره الله ، على المصحف الشريف العثماني ، على الطاعة والاجتماع ، وعدم المخالفة . فلم يمض[٢] على تلك[٣] المدة يسير ، حتى تواردت الأخبار بظهور الأمير «آقبردي » الدوادار بغزة المحروسة . ووردت مطالعاته بذلك ، فضاقت على / **٣٩** ب / الأمراء الأرض بما رحبت ، وضاجوا في أمرهم ، وعظُم ذلك عليهم .

وعرضوا أمره على المقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله . فأظهر، نصره الله ، الميل الى مجيئه[٤] ، فكان ذلك عليهم أشدّ من ظهوره . وعلموا أن المقام الشريف ، نصره الله ، له غرض تام بمجيئه ، فنزلوا من القلعة

---

(١) كتبت بين السطور .
(٢) في الأصل « تمض » .
(٣) في الأصل « ذلك » .
(٤) في الأصل « مجئه » .

المذكورة ، واجتمعوا عند الأمير « قانصوه » المذكور ، وتشاوروا / ٤٠ أ / في أمر الأمير « آقبردي » فأظهر « قانصوه » المذكور انه لا يكره مجيئه مكراً منه وخديعة ، ليعلم ما يُبدونه في مقابلة ذلك ، فصمّموا على عدم مجيئه ، وسألوا المقام الشريف ، نصره الله ، في تعيين تجريدة[1] تخرج الى الأمير « آقبردي » الدوادار الى غزة . فقال المقام الشريف ، نصره الله ، :

أما من مماليكي فلا يمكن أن يخرج أحد . وأما /٤٠ ب / أنتم فافعلوا ما تريدون . فرجع الأمراء عند ذلك . فعيّنوا أربعة مقدّمين : « قانصوه الشامي » ، و « كرتباي الأحمر » و « قرقماس » ، و « يشبك قمر » . وأن يكون معهم من المماليك السلطانية والسيفية ألف مملوك . وصمّموا على ذلك ، وعرضوه على المقام الشريف ، نصره الله ، فلم يلتفت الى ذلك . فسألوا المقام الشريف ، على ذلك ، في تعيين أمير /٤١ أ / يذهب الى إحضاره ، فوافقهم المقام الشريف على ذلك ، وعيّن الأمير « سيباي » دوادار ثاني ، و معه بعض مماليك .

وأما مماليك الأمير « آقبردي » الدوادار فإنّهم لما علموا بظهور أستاذهم بغزة تسحّبوا . وعلم الأمراء بذلك ، فذكروه للمقام الشريف ، فقال هو لمماليكه : فمن أحبّ الإقامة أقام ، ومن أحب الذهاب فلا يرد . /٤١ ب / فكثر تسحّبهم وخروجهم الى أستاذهم ، ولم يتأخر[2] إلّا الكتابية ، والمحكوم عليهم ، ومن لا يقدر على الخروج .

وأرسل « قانصوه » المذكور والأمراء الى أبواب الأدراك بردّ من مرّ عليهم من مماليك الأمير الدوادار ، فصاروا يذهبون اليه على الجبال ، وعلى السواحل . وتوجّه الأمير « سيباي » دوادار ثاني الى ثغر غزة المحروسة[3]

---

(١) فرقة من العسكر الخيالة لا رجالة فيها تركب على وجه السرعة دون أن تصطحب معها أثقالاً أوحشداً . (العصر المماليكي ٤٠٤) .

(٢) في الأصل « يتأخروا » .

(٣) في شهر ربيع الآخر سنة ٩٠٢ هـ . (بدائع الزهور ٣/٣٤١) .

/٤٢ أ / واجتمع بالأمير « آقبردي » الدوادار ، وأخبره بما أُرسل به من طلب حضوره الى القاهرة ، فامتنع الأمير الدوادار كبير من ذلك ، وطلب الأَيمان من الأمراء .

ورجع « سيباي » المذكور الى القاهرة بجواب الأمير الدوادار ، فحلفوا وكتبوا صورة حلف ، وجهَّزوها إليه . . والحال أنهم كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ لَا /٤٢ ب / أَيْمَانَ لَهُمْ ﴾[1] . فلم يرجع إليهم جواب . فأرسلوا إليه مكاتبات أُخر بالتخيير بين أمور ثلاثة :

إما الإقامة ببيت المقدس .

أو التوجّه الى الإسكندرية ، والإقامة بها بلا ركوب .

أو الذهاب الى مكة المشرّفة ، ويكون حاله كحال أمير كبير « أزبك » من الخروج الى الصيد والركوب ، وغير ذلك .

فامتنع أن /٤٣ أ/ يختار واحداً من الأمور المذكورة ، وبلغهم انه أخذ أهبته واستعدّ لما يُراد عليه منهم .

وفي هذه الأيام وصلت الى الأمير « قانصوه » المذكور ، مكاتبات المقرّ الأشرف ، « قانصوه اليحياوي » كافل[2] الممالك الشامية ، في الصلح وترك الاختلاف . فلم يلتفتوا الى ذلك ، وصمّموا /٤٣ ب / على أن يوجّهوا إليه الأمراء الأربعة المتقدم ذكرهم . ومعهم من ذُكر من المماليك السلطانية والسيفية ، وعبأ الأمراء المذكورون أهبتهم ، واستعدّوا للخروج . وسألوا المقام الشريف ، نصره الله ، في تعيين مماليك سلطانية يتوجهوا مع الأمراء المذكورين .

فلما سمع المماليك السلطانية ذلك ، قالوا : لا يكون هذا الأمر

---

(١) قرآن كريم ـ سورة التوبة ـ الآية رقم ١٢ .

(٢) هو نائب السلطنة الذي يُعبّر عنه بالكافل . ويحكم في كل ما يحكم فيه السلطان ويعلِّم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلِّم عليه السلطان (صبح الأعشى ٤/ ١٦) .

/ ٤٤ أ / أبـداً ، لأن الأمـير « آقبردي » الـدوادار ليس بعـاصٍ عـلى المقـام الشـريف ، حتى نخرج اليـه . فقال الأمـراء : فاطلبـوا له نيـابـة الشـام ، أو حلب ، أو طرابلس .

وجرى في ذلك كلام طويل واستقرّ أمر الأمراء عـلى أن يعيّنوا لـه نيابـة طرابلس ، فقال المماليك السلطانية : لا يمكن ذلك أبـداً ، ولا نرضى لـلأمير الدوادار نيابـة طرابلس ولا بـد / ٤٤ ب / من حضوره الى بـين يدي المـواقف الشريفة ، ثم بعد ذلك يفعل فيه المقام الشريف ، نصره الله ، ما يختار .

وخـرجـوا مبـادرين الى خيـول الأمـراء ومن كـان بـالقلعـة ، فكسـروا سروجهم . وخرج الأمراء وهم في غاية ما يكـون من الحنق ، وأشدّ مـا يكون من الغيظ . واجتمعـوا عند الأمـير « قانصـوه » المذكـور ، وتشاوروا عـلى أمـر يفعلونه / ٤٥ أ/ مع المماليك السلطانيـة ، وتأخـروا عن الطلوع الى القلعـة ، الى ان جـاء نهار الجمعة ، ثـالث عشرين جمـادى الأولى سنـة اثنتـين[1] وتسـع مـاية ، فلم يصـل أحد منهم في القلعـة ذلـك اليـوم . وأقـامـوا نهار السبت ، والأحد ، وهم في تعبئة أهبتهم للركوب .

وفي يوم الاثنين بعد / ٤٥ ب / الظهـر ، ألبس من هو مـع الأمراء من المماليك السلطانية والخاصكيـة ، وأمراء العشـراوات ، والأربعينات ، وأمـراء الطبل خاناة[2] ، وركبوا باللبس الكامل ، واجتمع معهـم السيفية . ولم يزالوا ذلك اليوم في حركة عظيمة ، واضطراب شديد .

وبلغ ذلـك المقـام الشـريف الملك النـاصـر ، نصـره الله وأدام علوّه / ٤٦ أ / وخلّد ملكـه وسعـادتـه . فـأمـر أن يُنـادى في شـوارع القـاهـرة ، وجـوانبهـا ، وسـائـر سككهـا ، بـأن جميـع الممـاليـك السلطانيـة ، ورؤوس الأطباق ، والخاصكية ، وأمراء العشراوات ، والأربعينات ، كـل من له طبقـة يبيت في طبقتـه ، ومن كان من أمراء الطبـل خـانـاه ، وأصحـاب الـوظـائف

---

(١) في الأصل « اثنين » .

(٢) سبق التعريف بأمراء الطبلخاناة .

/٤٧ ب / والمقدَّمين الألوف ، طائع للسلطنة الشريفة يحضر صبيحة النهار الى الأحواش الشريفة ، فكثُر الدعاء للمقام الشريف ، نصره الله .

وتبادرت المماليك السلطانية ، ومن كان ناصحاً الى القلعة المنصورة ، واجتمعوا في طباقهم ممتثلين للأوامر الشريفة . /٤٧ أ / وركب الأمير « قانصوه » المذكور ، ومعه « قانصوه الشامي » الى باب السلسلة ، ونزل هناك ، وصار يكثر من الدعاء للمقام الشريف ، نصره الله ، ويكرّر قوله : الله ينصر السلطان الملك الناصر . الله يجعل يومنا قبل يومه . ومثل ذلك من الألفاظ ، ليظهر النصح والطاعة .

ثم طلب الإذن بالدخول على المقام الشريف ، /٤٧ ب / نصره الله ، فأذن له ، فدخل ، وقبّل الأرض للمقام الشريف على العادة ، وذكر للمقام الشريف ، نصره الله ، انه يريد مجيء الأمير الدوادار ، وظهور الأمراء الغيّاب ، وأن بعض الأمراء يعارضه في ذلك . وذكر « جان بلاط » و « يشبك قمر » و « ماماي » و « قرقماس » ، وأنه إنما قصد بهذا الركوب اجتماعهم ، فإذا اجتمعوا قبض المقام / ٤٨ أ / الشريف عليهم ، ويقع الاتفاق بعد ذلك على مجيء الأمير الدوادار ، وبقية الغيّاب . فإذا برزت المراسيم الشريفة بذلك ، يشفع في الأمراء .

هذا حاصل ما قرّره « قانصوه » المذكور مع المقام الشريف ، نصره الله ، وكان له في ذلك مقاصد .

المقصد الأول :

/٤٨ ب / إظهار المناصحة للمقام الشريف ، نصره الله ، وأنه يحب ما يحبّه المقام الشريف ، ويختار ما يختاره .

المقصد الثاني :

إزالة ما حصل عند المقام الشريف ، نصره الله ، من الارتياب ، وتكذيباً لِما بلغ المقام الشريف عنه ، من اتفاقه مع الأمراء .

المقصد الثالث :

التغطية على المقام الشريف ، نصره الله ، في أمر الركوب ، وانه /٤٩ أ / إنما قصد به الاهتمام بمجيء الأمير الدوادار . وخروج الأمراء ، لا غير .

المقصد الرابع :

الخوف من أن يتفطّن المقام الشريف ، نصره الله ، لما هو عازم عليه ، فيأخذ أهبته والاحتياط في أمره ، فيفسد عليه ما دبّره من المكيدة .

المقصد الخامس :

استمالة خواطر المماليك السلطانية ، في كونه مساعداً لهم على الأمراء /٤٩ ب / فيما يريدونه من مجيء الدوادار ، وظهور الأمراء الغيّاب .

المقصد السادس :

تغيير خواطر المقام الشريف ، نصره الله ، على الأمراء المذكورين ، وتنفيره منهم ، خوفاً من أن يُنمّوا عليه للمقام الشريف ، نصره الله ، شيئاً مما عزم عليه .

المقصد السابع :

أن يُظهر للأمراء المذكورين أن المقام الشريف ، نصره الله /٥٠ أ / قصْده القبض عليهم وإيقاع الفعل فيهم . إما بالحبس ، أو بالنفي ، أو غير ذلك . وأنه مصمّم على ذلك ، وعازم عليه ، ليكثر تخيُّلهم من المقام الشريف ، نصره الله ، وليجتمعوا إليه ، ويساعدوه على ما يريد .

المقصد الثامن :

/٥٠ ب / إظهار المناصحة للأمراء المذكورين في الشفاعة فيهم عند المقام

الشريف ، نصره الله ، وأنه معهم ليسوءه[1] ما يسوؤهم[2] ، ويؤذيه ما يؤذيهم .

المقصد التاسع :

تطييب خواطر الأمراء الغيّاب ، ليظهروا ويطمئنّوا إليه ، ويأمنوه على أنفسهم .

وكل هذه المقاصد المذكورة ليست مقصودة عنده بالذات ، وإنما المقصود بالذات هو المقصد العاشر . وهو ما أذكره لك قريباً ، من خروج الأمراء الغيّاب ، /٥١ أ / وقبضه عليهم ، وإخفاء أمرهم عن الناس ، فلا يدري أحد ما الذي فُعل بهم ، كما ستراه مفصلاً في موضعه إن شاء الله تعالى .

والحامل له على ذلك حرصه على غدر مولانا السلطان ، نصره الله ، واجتهاده في نكث الأيمان التي حلفها بغياً منه ومكراً وخديعة ليتم له ما دبّره ، وهو لا يدري أن تدميره في /٥١ ب / تدبيره ، وليسلم له ما يرومه من غير معارض ولا منازع في ذلك ، وهو لا يعلم أن هذه الخصال التي حواها يرجع وبالها عليه ، وتسوق أسباب الرزايا إليه .

قال بعض العلماء من المفسّرين ، رضي الله عنه :

« أربعة من كُنّ فيه ، كُنّ عليه : المكر ، والبغي ، والخداع ، والنكث » . . واستدّل / ٥٢ أ / على ذلك بآيات من كتاب الله العزيز . قال الله تعالى في المكر :

﴿ وَلَا يَحِيقُ[3] ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .[4]

وقال تعالى :

---

(١) في الأصل « ليسؤه » .
(٢) في الأصل « يسؤهم » .
(٣) في الأصل « يحق » .
(٤) قرآن كريم ـ سورة فاطر ـ الآية ٤٣ .

﴿ وَلَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[1] .

وقال سبحانه وتعالى في البغي :

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ . . ﴾[2] .

وأخبر سبحانه في كتابه بانتصاره للمبغيّ /٥٢ ب / عليه فقال :

﴿ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللهُ ﴾[3] .

وقال جلّ ذكره في الخداع :

﴿ يُخَادِعُونَ ٱللهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[4] .

وقال عزّ من قائل في النكث :

﴿ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[5] .

ولنرجع الى المقصود ، فنقول :

فلما قضى « قانصوه » المذكور كلامه نزل الى /٥٣ أ / الحرّاقة التي بباب السلسلة[6] واجتمع الأمراء عنده بأجمعهم ، لم يتأخر أحد منهم عن الحضور في تلك الليلة ، الا « كرتباي الأحمر » فيما بلغنا . وصار الأمراء في الحرّاقة المذكورة داخل باب السلسلة ومماليكهم ، ومن معهم خارج الباب . وأحاطت بهم المماليك السلطانية ، فقفلوا باب السلسلة وظهر الأمير « أينال الخسيف » حاجب / ٥٣ ب / الحجاب تلك الليلة . . . ولم تزل وظيفة الحجوبية شاغرة في

---

(١) قرآن كريم ـ سورة الأنعام ـ الآية ١٢٣ .

(٢) قرآن كريم ـ سورة يونس ـ الآية ٢٣ .

(٣) قرآن كريم ـ سورة الحج ـ الآية ٦٠ .

(٤) قرآن كريم ـ سورة البقرة ـ الآية ٩ .

(٥) قرآن كريم ـ سورة الفتح ـ الآية ١٠ .

(٦) لا يزال هذا الباب موجوداً ، وقد عرف قديما بباب الاصطبل وباب الانكشارية ، وأما اليوم فيعرف بباب العزب نسبة الى طائفة من العسكر تسمى عزبان ، وظيفتهم المحافظة على القلاع . (انظر : النجوم الزاهرة ١٦٣/٧ ملحوظة رقم١) .

مـدة غيبته . وجلس مـع الأمراء في الحـرّاقـة وهـو بـاللبس الكـامـل ، وبيـده طَبَر[1] . ووقع بينه وبين « جان بلاط » كلمات .

ولم يكن في الأمـراء الحـاضـرين في تلك الليلة أشجـع ولا أفـرس ولا أشهم نفس من الأمير « أينال » .

ثم دار الكلام بينهم في مجيء الأمير « آقبردي » /**٥٤** أ/ فأظهـر بعضهم كراهة مجيئه ، وبعضهم خلاف ذلـك . غير أنهم في البـاطن متفقين عـلى كلمة واحدة ، فلما رأوا أنه قد سقط في أيديهم ، أذعنـوا لمجيئه ، وأصبـح الناس في أمر مريج ، وكل منهم يأتي بخبر جديد .

وأشيـع في هذه الليلة إشـاعات كثيـرة . . منها إن المـماليك السلطانيـة قبضوا على الأمير « جان بلاط »/**٥٤** ب / و « يشبك قمـر » . وأرادوا قتلهما ، فشفع فيهما الأمـير « قانصـوه » المذكـور ، ووصل الخبر الى بيت الأمير « جـان بلاط » ، فنهب الغلمان حوائج بعضهم ، ووقع الصياح في بيته .

وأشيـع أيضاً أن المقـام الشريف ، نصـره الله ، رسم بـأن يُـرسَّم عـلى الأمـراء الذين عيّنهم « قـانصوه » المـذكـور ، حسب مـا قـرره معـه ، [الى أن أذعنوا لمجيء الأمير « آقبردي » الدوادار ، وظهور الغيّاب . ثم أطلقهم بشفاعته وشفاعة الأمير « أينال » ، والأمير « تاني بك الجمالي »][2] .

وفي صبيحة هذه الليلة هرع الناس /**٥٥** أ/ الى الرُّميلة ليروا ما الخبر ، فشاهد الناس منظراً مهولاً ، وعساكر لا تُحصى ، كلهم باللبس والسـلاح وقد انتشـروا في الـرميلة ، حتى كـادت أن تضيق عنهم مـع اتسـاعهـا ، والأمـراء المذكورون بباب السلسلة ، ولم يعلم أحد ما الخبر ، ولا ما سبب هذا الركوب والاجـتـمــاع . ولم تـزل الخـيــول تجـول ، والـنــاس وقــوفـاً الى وقـت الضحى . /**٥٥** ب / وإذا بـالمنادي قـد خـرج من بـاب السلسلة ، ونـادى في

---

(١) الطبر : بـالتحريـك . البلطة ، ذات رأس شبه دائـري تُثبت في قـائم إمـا من المعـدن أو من الخشب ، يحملها أفراد فرقة الطبر دارية . (الملابس المملوكية ٨٥) .

(٢) ما بين الحاصرتين كتب على الهامش الأيسر .

العسكر حسب ما برزت المراسيم الشريفة السلطانية ، ان الأمراء الغيّاب يحضرون ، ومن كان منهم بالقاهرة فله الأمان . وتكرّر النداء مراراً . وإذا بفرقة من العسكر تقرب من خمسمائة فارس خرجت من الرميلة ، فغابوا ثم عادوا وبينهم الأمير « قانم » احد الأمراء /٥٦ أ / الغيّاب ، وعلى رأسه منديل الأمان . فدخل وقبّل الأرض بين يدي المواقف الشريفة ، شرّفها الله وعظّمها . ثم خلع عليه ، وعلى الأمير « أينال » ، وبرزت الأوامر الشريفة بكتابة مراسيم شريفة الى الأمير « آقبردي الدوادار » بالحضور الى القاهرة طيّب الخاطر ، منشرح الصدر .

ثم ركب « قانصوه » المذكور ، وجمع الأمراء ، ومعهم العسكر /٥٦ ب / بأجمعه ، وهم باللبس الكامل كما وصفنا . وتوجهوا مع الأمير « أينال » الى بيته الذي بجوار الجامع الأزهر ، ودخل معه « قانصوه » المذكور الى بيته ، وهو يظهر له الفرح والسرور ، ثم عانقه وانصرف . ولم يمكنه الرجوع الى بيته من باب زويلة[1] لازدحام العسكر في القصبة . فتوجّه من الورّاقين ، والعساكر معه الى بيته .

وكان /٥٧ أ / الناس في مدة غيبته يكثرون الدعاء له إلى أن ظهر وولي الإمريّة الكبرى ، وأخذ في تدبير المفاسد ، ولم يلتفت لمصالح المسلمين . كرهه الناس حتى لا تسمع إلا من يدعوا عليه . وأظهر في هذه الأيام تَجَبُّراً وتكبّراً . وعطف الله تعالى قلوب الناس بالدعاء للمقام الشريف ، نصره الله . فصاروا يدعون له حتى في سجودهم في صلاتهم /٥٧ ب / وفي طرقاتهم ومساجدهم ، حتى الأطفال والنساء في بيوتهم .

فلما وقع من « قانصوه » المذكور ما أظهره من النصح للمقام الشريف وما فعله مع الأمير « أينال » والأمير « قانم » من الركوب معهم ، وإظهار البشر

---

(١) زُوَيْلة : اسم قبيلة من قبائل البربر الواصلين مع جوهر القائد من المغرب . وباب زويلة : احد أبواب القاهرة القديمة في سورها القبلي ، يسمّيه العامّة : « بوّابة المتولّي » . (انظر النجوم ٤/ ٣٧ ملحوظة رقم ٣ وج ١١/ ١٦٦ ملحوظة١) (المواعظ والاعتبار ١/ ٣٨٠) .

والسرور بهم ، شكره الناس على ذلك ، ولم يعلموا ما وراءه من المكر والخديعة والغدر والبغي . . /٥٨ أ / ثم نزل المباشرون من القلعة المنصورة وهم مخلّقون بالزعفران ، مثل القاضي كاتب الأسرار الشريفة [١] ، والقاضي ناظر الخواصّ الشريفة [٢]، والقاضي ناظر الجيوش الشريفة [٣] ، والقاضي أبو البقاء[٤] ، والقاضي صلاح الدين[٥] ، ابنا الجيعان وأتباعهم . ولم ينزل أحد من الأمراء المذكورين في ذلك اليوم إلا وقد /٥٨ ب / حلف على النصح والاجتماع على الطاعة للمقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله .

ثم ظهر الأمير « شاد بك » والأمير « جانم » في ذلك اليوم ، وفرح الناس بظهور الأمراء الغيّاب ، وبمجيء الأمير « آقبردي » الدوادار ، غاية الفرح ، لأنه قد شاع بين الناس أن الأمراء كلهم قد تحالفوا على المقام الشريف ، نصره الله . / ٥٩ أ / واطمأنت الخواطر ، وانشرحت الصدور . ونزل المماليك السلطانية تلك الليلة الى أساطبلهم[٦] وبيوتهم . وصبر « قانصوه » المذكور الى الليل ، وأرسل قاصده الى الأمير « أينال » يستدعيه ، وإلى بقية الأمراء الثلاثة الذين ظهروا في ذلك اليوم . فحضروا إليه ، ولم

---

(١) كتابة السر من الوظائف السلطانية المهمة ، موضوعها قراءة الكتب الواردة على السلطان وكتابة أجوبتها وأخذ خط السلطان عليها وتسفيرها ، وتصريف المراسيم ، والتحدث في أمر البريد . وبديوان كُتّاب الدَّست ، وكُتّاب الدَّرج . (صبح الأعشى ٤/ ٣٠) بدر الدين بن مزهر .

(٢) احدث الناصر محمد بن قلاوون وظيفة « نظر الخاص » حين أبطل الوزارة ، وموضوعها التحدّث فيما هو خاص بمال السلطان وقد صار ناظر الخواص كالوزير لقربه من السلطان وتصرّفه وصار اليه تدبير جملة الأمور وتعيين المباشرين ، ولكنه لا يقدر على الاستقلال بأمر الا بمراجعة السلطان . وله أتباع من كُتّاب ديوان الخواص ، (صبح ٤/ ٣٠) .

وناظر الخواص المقصود هنا هو القاضي علاء الدين بن الصابوني . (ابن اياس ٣/ ٣١٩) .

(٣) ناظر الجيوش هو عبد القادر القصروي . (ابن إياس ٣/ ٣٤٠) .

ونظر الجيوش ، موضوعها التحدث في أمر الاقطاعات بمصر والشام والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه . ولناظر الجيش اتباع بديوانه كصاحب ديوان الجيش وكُتّابه وشهوده ، وصاحب ديوان المماليك . (صبح الأعشى ٤/ ٣١) .

(٤) قُتل في ١١ ذي القعدة سنة ٩٠٢ هـ . (مفاكهة الخلان ١/ ١٧٩) (ابن اياس ٣/ ٣٦٣) .

(٥) كان نائباً لكاتب السر منذ سنة ٨٨٩ هـ . (ابن اياس ٣/ ٢٠٩) .

(٦) هكذا اثبتها المؤلف .

يعلموا ما هو منطوٍ عليه ، لأمر قدّره الله تبارك وتعالى . ﴿وَكَانَ أَمْرُ آللهِ قَدَراً مَقْدُوراً ﴾[1] .

/ ٥٩ ب / وأما الأمير « جانم » فلم يحضر وغيّب ، وخفي أمر الأمراء الثلاثة على الناس ، فلم يعلم أحد ما فُعل بهم، ولم يظهر خبرهم الى الآن،﴿ لِيَقْضِيَ آللهُ أَمْرَاً كَانَ مَفْعُولاً ﴾[2] وكان يقال : لا تطأ أرضاً فيها عدوك إلا على ترقّي احتراص ، وتوقّي افتراس . . وكان يقال : لا تلق عدوك إلا محترزاً منه ، ومتحفّظاً على نفسك من كيده . / ٦٠ أ/ ولا يغرّنك منه كثرة ميله إليك وثنائه عليك .

ولما فعل ما فعل ، مع الأمراء المذكورين ، اجتمع إليه الأمراء مثل « قانصوه الشامي » و « تاني بك الجمالي » و « جان بلاط » و « ماماي » و « كرتباي الأحمر » و « قانصوه البرج » ، و « يشبك قمر » و « قرقماس » و « كسباي » و « مسرباي » . وجميع المقدّمين ، وأمراء الطبل خاناه ، وأمراء الأربعينات ، والعشراوات ، وجماعة من / ٦٠ ب/ الخاصكية ، وفرقة من المماليك السلطانية ، وجميع السيفية ، وهم باللبس الكامل ، واتفقوا على سلطنته ، وتحالفوا على ذلك ، وقبّل الأمراء له الأرض في بيته ، ونعتوه بالملك الأشرف ، وركب باللبس الكامل ، والأمراء معه كذلك الى باب السلسلة ، صبيحة نهار الأربعاء على غفلة من المماليك السلطانية ، والمقام الشريف ، نصره الله وحفظه . /٦١ أ / ففتح لهم باب السلسلة « قانصوه الألفي » وجلسوا في الحرّاقة ، وصعد جماعة منهم الى المقرّ الأشرف الأمير « لولو » الخازندار[3] ، والأمير المعظم « جوهر الشمسي » شاد الأحواش الشريفة[4] ، عظّم الله تعالى شأنهما فسألوهما فتح الأبواب ، وأخبروهما أن الأمراء اتفقوا على سلطنة « قانصوه » المذكور . فامتنعا من فتح الأبواب ، فرجعوا لإخبار

---

(١) قرآن كريم ـ سورة الأحزاب ـ الآية ٣٨ .

(٢) قرآن كريم ـ سورة الأنفال ـ الآية ٤٢ .

(٣) الخازندار : وظيفته التحدث في خزائن الاموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك . (صبح ٤/ ٢١) .

(٤) الشاد : المفتش ، أي مفتش الأحواش .

« قانصوه » المذكور بما /٦١ ب / وقع من امتناع الأميرين من فتح الأبواب التي تلي باب السلسلة بأجمعها وأحكم قفلها .

ورجع نادى مُنادي « قانصوه » المذكور حول القلعة المنصورة ، وفي القاهرة ، بالدعاء للسلطان الملك الأشرف « قانصوه » . فحصل على الناس بسبب ذلك نكد عظيم ، وهمّ وغمّ ، وشاع الخبر أيضاً بمسك الأمراء / ٦٢ أ / المذكورين : « أينال » و « شاذ بك » و « جانم » ، فأسف الناس عليهم أسفاً عظيماً .

وأما من كان بالقلعة المنصورة من المماليك الكتّابية ، فإنّ غالبهم من شدّة ما حصل عليهم من الخوف ، وداخلهم من الفزع ، بسبب ذلك . . ألقوا حوائجهم من الطباق ، ونزلوا وهم يبكون . وتسارع الناس الى الرميلة ليروا ما الخبر . وأرسل « قانصوه » المذكور /٦٢ ب / الى الخليفة أمير المؤمنين[1] ، والقضاة الأربعة[2] . فأحضرهم في الترسيم . وسأل الخليفة أميرَ المؤمنين أن يبايعه ، فامتنع من ذلك امتناعاً شديداً ، وقال : كيف يمكن أن أولّي سلطانين في مملكة واحدة ؟ فنُصب عند ذلك مدّع ـ وكل مدّعٍ كذّاب ـ وأدّعى أن المقام الشريف ، الملك الناصر ، نصره الله ، عاجز عن تدبير المملكة ، وشهد على صحة دعواه / ٦٣ أ / جماعة ، فحكم بعض القضاة . ثم فعل معه كعادة السلاطين ، من لبس الخليفتي ، وغير ذلك . ووقف الأمراء في خدمته وخاطبوه بالسلطنة . وكان يقال في الزمن القديم :

[مجزوء الكامل]

سَمينُ البغْي مهزول ووالي الغَدْرِ معزول

وكان يقال أيضاً :

---

(١) سبقت الإشارة اليه .

(٢) هم : قاضي القضاة زين الدين زكريا الأنصاري الشافعي ، وقاضي القضاة ناصر الدين محمد بن الإخميمي الحنفي ، وقاضي القضاة عبد الغني بن تقي المالكي ، وقاضي القضاة بدر الدين محمد السعدي الحنبلي .

ما كثُر من كثّره البغيُ ، ولا قَوي من قوّاه الظُلمُ ، ولا مَلَكَ مَنْ ملّكه الغَضْبُ . .

وكان /٦٣ ب / يقال :

ما اجتمع المُلْك والبَغْيُ على سريرٍ إلاّ خَلا .

وأظلمت الدنيا على الناس بسبب ذلك ، ولَهَجت الألسن بالابتهال والدعاء للسلطان الملك الناصر ، نصره الله تعالى ، في آناء الليل ، وأطراف النهار . وصار الناس يجتمعون ويقرأون[1] القرآن . وكثير من الناس بلغنا انهم قرأوا سورة الأنعام /٦٤ أ / ودعوا للسلطان الملك الناصر ، نصره الله ، بين الجلالتين ، ودعوا على أعدائه .

وتبادر أحد الزَّرَدْكاشيّة[2] الى القلعة المنصورة ليُحضر القبة والطَيْر[3] . لقانصوه المذكور ، فبادر إليه بعض المماليك السلطانية فجرحوه وأخرجوه . .

هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمر مولانا السلطان الملك /٦٤ ب / الناصر ، زاد الله شأنه عظماً ، ونشر له في كل قطر علماً ، فإنه لما بلغه ذلك نهض نهضة الأسد مستعيناً بالله تعالى ، ومتوكلاً عليه ، ومفوّضاً أمره إليه ، ولم يكن عنده في ذلك الوقت من المماليك السلطانية إلا سبعين أو أقل . ومن الأمراء الخدّام أربعة : الأمير « لولو » والأمير « جوهر الشمسي » والأمير « محسن » والأمير « مختص » . /٦٥ أ / ودار بنفسه ، نصره الله ، على ابراج القلعة المنصورة ، وأمر ، نصره الله ، بفتح الزردخاناه[4] ، الشريفة ، فرأوا المفاتيح قد أُخذت ، فأمر بكسر

---

(١) في الأصل « يقرءون » .

(٢) مفردها : الزردكاش . الصانع الذي يعمل في السلاح خاناه ، في صنع السلاح وإصلاحه وتجديده . (صبح الأعشى ١٢/٤ ، العصر المماليكي ٤٢٣) .

(٣) القبة والطير : يراد بهما المظلة التي كانت من رسوم الخلافة الفاطمية في مصر ، وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب في أعلاها طائر من فضة . (السلوك ج ١/٩٣٩ ـ الحاشية) .

(٤) بيت السلاح ، وبها من السيوف والقسيّ العربية والنشاب والرماح والدروع المتخذة من الزرد المانع . وفيها صُنّاع يقيمون بها لإصلاح العُدد . ويطلق هذا اللفظ أحياناً على السلاح نفسه .

أبوابها فكُسر الباب الواحد وأخرج ما احتيج اليه في ذلك الوقت ، ثم أمر بنصب الصنجق الشريف السلطاني المحمّدي ، فنُصب على باب المدرج ، وأمر بضرب الطبل خاناه ، فضربت . وحصّن /٦٥ ب / الأسوار ، وأقام الرماة بالكفيّات[١] ، والبنادق ، والمدافع ، والسهام الخِطائيّة [٢]، والصواريخ . ونصب المكاحل[٣] على سائر أبراج القلعة المنصورة وجوانبها ، وثبّته الله بعنايته ، وحفّه بملائكته ، ونطق لسان الفلك مخاطباً له ، بقوله جلّ جلاله : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ /٦٦ أ / بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٤] .

ووقع الرمي في الحال من القلعة المنصورة ، فلما سمع الناس الرمي من القلعة أيقنوا بأن السلطان الملك الناصر ، نصره الله ، باقٍ على سلطنته ، وأن الأمراء أرادوا بإشهار النداء المذكور تخذيل المماليك السلطانية الذين كانوا في المدينة عن الركوب واللحاق بالقلعة المنصورة ، فتسارع المماليك السلطانية /٦٦ ب / الى القلعة ، وصعد اليها من أراد الصعود منهم من باب المدرج ، وتكاثروا فيها ، ووقفوا على أسوارها يرمون بالسهام .

وقد كان يقال في الزمن القديم :

ينبغي للعاقل إذا دهمه ما لا قِبَل له به أن يلزم قلبه التسليم لأحكام الحكيم العليم ، واهب العقل ، وقاسم الحظوظ ، ولا يضيّع مع ذلك نصيبه من /٦٧ أ / الدفاع بحسب الطاقة ، فإنه إنْ لم يحصل على الظفر حصل على العذر .

وكان يقال في الزمن القديم :

يجب على الملك ان لا يخلو من خمسة معاقل يتحصّن بها : أحدها ، وزير

---

(١) نوع من مكاحل البارود . (انظر الشروح) .
(٢) سهام توضع في رؤوسها كُتَل محترقة وتقذف على العدو تاركة وراءها خطا نارياً . (وانظر الشروح) .
(٣) مكاحل البارود هي المدافع التي يُرمى عنها النفط وهي انواع . (النجوم ١٢/٢٢٧) .
(٤) قرآن كريم ـ سورة الأنفال ـ الآية ٦٢ .

صالح يتحصن برأيه . والثاني : سيف قاطع يتحّصن بحدّه إذا دهمه عدوّه . والثالث : فرس سابق يتحصّن /٦٧ ب / بظهره إذا لم يمكنه الثبات . والرابع : امرأة حسناء يحصّن بها فرجه وبصره . والخامس قلعة منيعة يتحصّن بحلو لها إذا احتيط به .

ولم يكن في القلعة المنصورة عند المقام الشريف ، نصره الله ، من الأكابر ، ولا من القلعية ، ولا من الأمراءإلّا خال[1]المقام الشريف ، نصره الله ، والأمراء الأربعة المقدّم ذكرهم ، الأمير « لولو » والأمير « جوهر الشمسي »والأمير « مختص »/٦٨ أ / والأمير « محسن » ومهتار[2] المقام الشريف ، ناظر الكسوة الشريفة ، الحاج « رمضان » ومعلم المعلمين « بدر الدين حسن بن الطولوني المعمار »[3] . وأما الرماة فلم يحضر منهم أحد ، فتولى الرمي عبيد المقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله ، وشرع المعلم « بدر الدين حسن ابن الطولوني » أعزّه الله ، في عمارة مصالح القلعة المنصورة ، فبنى خلف الأبواب التي يخاف /٦٨ ب / عليها البنا[ء] المحكم[4] . وتوجّه بكلّيته لنصرة المقام الشريف ، فجزاه الله تعالى عن المسلمين خيراً ، وكذلك بقية المذكورين ، كلٌّ منهم اقامه المقام الشريف ، نصره الله في مهمٍ من مهمّات القلعة المنصورة ومن فيها ، فبذل جهده في طاعة الله تعالى ، ومناصحة المقام الشريف ، وزاده الله نصراً ونشر له في كل قطر ذكرا .

واحتاط الأمراء[5] ومن معهم بالقلعة (٦٩ أ / المنصورة ، ووقع القتال الى الليل ، وكنت مشاهداً للرماية والمحاصرة في ذلك اليوم من أوله الى آخره ،

---

(١) الأمير قانصوه . (بدائع الزهور ٣ /٣٤٣) .

(٢)سبق التعريف به .

(٣) تولى وظيفة معلم المعلمين يوم الخميس ٤ ربيع الأول سنة ٨٧٧ هـ . (إنباء الهصر ٥١٩) .

(٤)انظر : بدائع الزهور٣/٣٤٣ .

(٥)في الأصل « الأمرأ » .

فلم تترجّح إحدى الطائفتين على الأخرى في ذلك اليوم ، غير أن الكآبة[1] ظاهرة على من بالرميلة من مماليك الامراء ، وآثار الكسرة لايحة عليهم .

ونصب « كرتباي الأحمر » المكاحل على ظهر البيمارستان العتيق ، وأحضر عبيده للرماية على /٦٩ ب / باب المدرج ليمنعوا من أراد الصعود الى القلعة المنصورة من المماليك السلطانية ، فوقعت الرماية عليهم من القلعة ، فهربوا من ذلك المكان ، ولم يأتوا بطائل ، وقُتل منهم جماعة ، وصار المماليك السلطانية يصعدون إلى القلعة طائفة ، وكلما جاء[2] أحد منهم نزل عن فرسه ، ودفعها الى غلامه ، أو أطلقها وقصد القلعة ، ولفعلهم هذا أسباب .

/ ٧٠ أ/ السبب الأول :

ان القلعة المنصورة وطنهم ، إليها يأوون ، وفيها يسكنون ، واللبيب العاقل يحنّ الى وطنه ، ويحزن عليه إذا حدث به حادث ، ويدفع الأذى[3] عنه إذا قدر على دفعه ، ويحميه بكل طريق ممكن ما وجد إلى حمايته سبيلا . ولما رأوا ان الأمراء قد عزموا على محاصرتها ورميها بالمدافع ، جذبهم الطبع الى حمايتها ، فلذلك تسارعوا /٧١ ب/ إليها .

السبب الثاني :

ان لكل واحد منهم فيها أخ أو صديق أو مصاحب . ومحاربة الإخوان بلا سبب مستحيلة ، ومناصرتهم ومساعدتهم إذا قصدهم أحد بسوء واجبة . وذلك من شيم النفوس الأبيّة . فلما رأوا أن الأمراء قصدوا إخوانهم بالسوء لم تحملهم نفوسُهم على ترك مناصرتهم ، فغضبوا لهم وسعوا في مساعدتهم ، ولا يمكنهم ذلك إلّا بالصعود إلى /٧١ أ / القلعة المنصورة . فلذلك تسارعوا إليها .

---

(١) في الأصل « الكاآبة » .

(٢) في الأصل « جأ » .

(٣) في الأصل « الأذا » .

السبب الثالث :

إن النفوس تميل بالطبع الى محبوباتها ومشتهياتها ، وأعظم محبوب عند أكثر الناس : الذهب ، والفضة ، والقلعةُ محلُّ ذلك ومعدنه ، لاشتمالها على خزائن السلاطين ، وذخائر الملوك ، فلذلك تسارعوا إليها .

السبب الرابع :

إنهم لما تحققوا من الأمراء بالقرائن الظاهرة ، والقياس على /٧١ ب / من تقدّم انهم لو ملكوا وصار الأمر لهم لأَفْنَوهم بالقتل وغيره ، وإن بقاء نفوسهم ومُهجهم إنما هو ببقاء الأمر والسلطنة مع السلطان الملك الناصر ، نصره الله ، تسارعو الى القلعة إبقاءً لنفوسهم ، وحفظاً لِمُهَجِهم الى غير ذلك من الأسباب .

وأما مماليك الأمراء وغالب السيفية فإنهم كانوا يسيرون في شوارع القاهرة وبين القصرين[1] .

هذا /٧٢ أ / والمقام الشريف ، نصره الله تعالى ، قد ألهمه الحق تبارك وتعالى ان يستعد لذلك ، فاتّخذ عنده من الدقيق ، والبقسماط ، والجبن ، والقاورما [2] ، والأرز شيئاً كثيراً قبل تاريخه . وخفي ذلك عن الأمراء ، وحفظ الصهاريج وغيرها حتى كأن الله تبارك وتعالى أطلعه على ما سيكون .

ولسان الحال ينشد /٧٢ ب / مولانا السلطان ، نصره الله ، قول الشاعر :

[الكامل]

لن يبلُغَ الأعداء[3] فيك مُرادَهُم ... كلّا ، ولن يصلُوا إليك بمكْرِهم
فَلَكَ البِشَارَةُ بالولاء عليهم ... فالله يجعل كَيدَهُم في نَحْرِهم

(١) هو شارع المعزّ لدين الله المعروف الآن بالقاهرة وفيه يقوم ضريح الملك المنصور قلاوون والبيمارستان المنصوري .

(٢) عبارة عن لحم المواشي المأكولة تقطّع قطعاً صغيرة ثم توضع على النار حتى تنضج ويضاف اليها كميات من الملح تجنبياً من الفساد .

(٣) في الأصل « الأعدأ » .

وأما الأمراء فإنهم أول ما شرعوا فيه من أسباب الإيذاء لأهل القلعة ، أن قطعوا الماء /٧٣ أ / عنهم فلم يلتفت من في القلعة الى ذلك ، وتفطّن الناس حينئذ الى ذكاء المقام الشريف ، نصره الله ، ومعرفته ، وحسن تدبيره وسياسته ، زاد الله تعالى نصره ، وملأ في الخافقين ذكره .

وأقبلت ليلة الخميس ، والناس يتقلّبون على مثل الجمر ، سُكارى من كؤوس الهموم لا من شرب الخمر ، وحكم الليل فيهم وأمر ، وحبس نومهم وأسلم /٧٣ ب / أعينهم للسهر ، وحال بينهم وبين ما كانوا يشاهدون ، ووردت عليهم الخيالات والأوهام والظنون ، وطالت تلك الليلة على الناس فكأنها سنة ، ولم يلمّ بمقلة أحد منهم غمض ولا سنة .

وأنشد منشدهم متمثلاً بقول الشاعر :

لقد طال هذا الليلُ حتى حسِبْتُهُ ... مقيماً فما يُرجى له بصباحِ
/٧٤ أ/ وأَنْجُمُهُ معقولة ما يُرى لَها ... بَرَاحٌ وهل نجمٌ بغير بَراحِ

وقول الآخر : [الكامل]

يا ليلُ طُلْتَ فما ظَلامُك ينقضي ... وكأنَّ صُبْحَكَ أعْرَجٌ لم يَنْهَضِ
وأرى الثُريَّا في مكان طُلُوعِها ... لم تنتقل شِبْراً ولم تتعرضِ

/٧٤ ب / وقول الآخر : [الطويل]

خليلَيَّ ما بالُ الدُّجَى ليس يَبْرَحُ ... وما لِعَمُود الصُبْح لا يتوضَّحُ
لقد طال هذا الليلُ حتى كأنه ... بليلَيْنِ موصُولَيْنِ لا يتزحزحُ

إلى أن بدا الفجر وطلع ، ولاح ضوء النهار وسطع ، وانجاب الظلام وانقشع ، وذهب /٧٥ أ/ سواده وارتفع ، وارتحل الليل وودّع ، واستمرت الرماية من القلعة في طول الليل ، والخيل تموج في الرميلة[1] كما يموج السيل ،

---

(١) هي المعروفة الآن بالمنشية حيث ميدان محمد علي وصلاح الدين تحت القلعة . (انظر النجوم الزاهرة ١١١/٩ ـ ملحوظة رقم١) .

وهـرعت الناس الى الـرميلة فشاهـدوا الغضب قد انسكب من أعـلى[1] القلعة عـلى الأمراء ، مـا بين نشّـاب ، وسهام خـطائية[2] وصـواريـخ ، ومـدافـع ، وكَفِّيَّات ، وبنادق رصاص ، وقد اصطفّ[3] الأمراء مـع جدار القلعـة ، ومن تطرّف منهم /٧٥ ب / أصيب هو أو فرسه ، فكنـا لا نرى في كـل ساعـة الا وقدجاؤ وا[4] بواحد وحده، وباثنين جملة، وبثلاثة جملة، قد أصيبوا من الرماة .

ولهج الناس في ذلـك اليوم بنصـرة الملك الناصـر ، نصره الله ، وتفـرق الأمراء حول القلعة المنصورة، فوقف « جان بلاط » ومن معه عند المنچكية ليرمي عـلى باب المـدرج . ودخل « الشـامي » ومن معه الى الاسـطبل السلطاني[5] . /٧٦ أ / وصعـد « كرتبـاي الأحمـر » ومن معـه الى قبـة الهـوا بـأعـلى[6] جبـل المقطَّم ، ونصب المدافـع للرمي على القلعـة ، فتبـادرهم الـرمي بالنشّـاب ، والكفّيّات ، والسبقيات ، فتفرّق من كان معـه من العسكر ، وقُتـل من رُماتـه جماعة . ورمى رُماتُه حجراً فتفتّت ، وتقطّع ، ولم يقدروا على الإتيان بشيء في هذا اليوم أيضاً .

وكان يقال في الزمن القديم :

إذا /٧٦ ب / كانت مغالبة القدر مستحيلة ، فمن أعوان نفوذه الحيلة .

وكان يقال أيضاً :

إن من الدلالة على أن الانسان مصرف مغلوب ، ومدبـر مربـوب ، أن ينعكس رأيه في بعض الخطوب ، فلا يهتدي الى الصواب المطلوب . وإذا كـان ذلك فإنّ تدميره في تدبيره ، واغتياله في احتياله ، وهلكته في حركته .

/٧٧ أ / وتفرق باقي الأمراء ، فمنهم من وقف بباب الوزير ، ومنهم من وقف

---

(١) في الأصل « أعلا » .
(٢) في الأصل « خطائيية » .
(٣) في الأصل « اصطفت » .
(٤) في الأصل « جأوا » .
(٥) راجع : النجوم الزاهرة ـ الحاشية رقم ٢ ـ ج ١٢ /١٠٧ ، والمواعظ والاعتبار ـ المقريزي ـ ج ٢ /٢٠٤ .
(٦) في الأصل « بأعلا » .

عند [سبيل][1] أمير المؤمنين ، ومنهم من وقف على باب السلسلة ، ومنم من يسير في الرميلة على بُعدٍ خوفاً من أي يصاب هو أو فرسه ، وقانصوه المتسلطن جالس في الحرّاقة بباب السلسلة .

هذا كان حالهم جميع نهار الخميس الى المغرب .

وترجّح في هذا اليوم أمر القلعية على /٧٧ ب / من في الرُمَيْلة . وأيقن الناس بنُصرة المقام الشريف وثبات أمره ، نصره الله .

ولقد شاهدتُ بعين رأسي شخصاً عند باب السلسلة أراد أن يرمي الى القلعة سهماً خطائياً ، فلما قرّب إليه النار صعد قدر رمح ثم رجع عليه فأحرق ثيابه وفرسه وراية رمحه ، فساق الفرس ، والنار عمّالة[2] في رمحه لم تنطفيء[3] .

وفي /٧٨ أ / آخر هذا اليوم قلب[4] جماعة من المماليك السلطانية رماحهم وصعدوا الى القلعة المنصورة من باب المدرج ، ومنهم الأمير « كرتباي » ابن عم المقام الشريف ، نصره الله تعالى ، والأمير « مسرباي » شادّ الشراب خاناه ، والأمير « بردبك » الخازندار كان ، والأمير « أينال » السلاح دار ، نزل من القلعة المنصورة ليلة الخميس ، واجتمع بإنياته[5] وأَغَواته[6] ، وفخذهم[7] عن الأمراء /٧٨ ب / وصعد الى القلعة في ليلة الجمعة ومعه جماعة منهم .

ورأى الناس كثيراً من الخاصكية وغيرهم ممن هو راكب مع الأمراء وهو

---

(١) ما بين الحاصرتين إضافة على النص للتوضيح .

(٢) لفظة مصرية عامّية بصيغة فعّالة .

(٣) في الأصل « تنطف » .

(٤) في الأصل « أقلب » .

(٥) مفردها : (إنيّ) ، معناها الزميل أو الخجداش أو الخشداش ، والخجداش أو الخشداش : معرّب عن اللفظ الفارسي « خواجاتاش » بمعنى الزميل . والخشداشية في عصر المماليك هم الذين نشأوا عند أستاذ واحد ويقابلها في الفرنسية Camarades (انظر : النجوم ١٥/ ١٦١ ملحوظة رقم ٢ و١٨٨ ملحوظة رقم ٣) والطرابلسيون يستعملون هذه التسمية محرّفة إلى « خوشبوش » .

(٦) بمعنى سادته أو إخوته الأكبر سناً ، وهي كلمة تركية . (النجوم ١٣/ ١١٦) .

(٧) أي فَصَلهم .

يدعو(١) للسلطان الملك الناصر ، نصره الله ، بالنصر على الأمراء .

وسبب ذلك أنهم كانوا يُحضرون الناس كرهاً . ونادوا في القاهرة بأن من لم يحضر إليهم من الأجناد والمقطعين ، لا خبز له ولا اقطاع ، فخافهم /٧٩ أ / الناس بسبب ذلك .

وأقبلت ليلة الجمعة ، والقلوب على نصرة المقام الشريف مجتمعة . ومدّ الليل أطنابه ، وسدل جلبابه ، وأرخى سجفه ، وأطلق سدفه .

وبات كلٌ من الامراء في مكانه الذي سمّيناه ، وموضعه الذي عينّاه . ولم يقع في تلك الليلة رماية من القلعة المنصورة ، لكن أعلام الذلّة على من في الرميلة منشورة . وطال الليل /٧٩ ب / على الناس ، حتى حصل لهم من انفجار فجره اليأس ، وتمثّل شاعرهم بقول امرىء(٢) القيس :(٣) [الطويل]

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُولَه ... عليّ بأنواعِ الهموم لِيبتلي
فقلت له لمّا تمطّى بصُلْبه(٤) ... وأردف أعجازاً وناء بكلكل
الا أيها الليل الطويل ألا انجلِ ... بصبح وما /٨٠ أ/الإصباح منك بأمثل
فيا لك من ليلٍ كأنّ نجومه ... (بكل مغار القتل شد بيذبل)(٥)
(كأنّ الثريّا علقت في مصافها)(٦) ... (بأمراس كتّان إلى صمّ جندل)(٧) .

ويقول الآخر : [الخفيف]

ليلتي هذه كَعَشْر ليالٍ ... مُظْلماتٍ وما بها من هِلالِ
وكأن النجومَ سُمّرن في ... الأفْق لا يحرفنها للزَّوالِ
وأرى الصُبْحَ قد تغاطى علينا ... كتغاطي الهلالِ من شَوّالِ

---

(١) في الأصل « يدعوا » .

(٢) في الأصل « امرء » .

(٣) هو الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حُجر بن عمرو الكِنْدي . (انظر عنه : الأغاني ٩/ ٧٧ ، طبقات ابن سلام٤٤ ، الشعر والشعراء١/ ٥٠ ، خزانة الأدب ١/ ٣٠٢ ، ديوان امرىء القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ١٩٥٨ ، موسوعة الشعر العربي (الشعر الجاهلي) ـ (ج ١/ ٢٢٩ و ٢٣٠) .

(٤) في الأصل « بجوده » .

(٥) ما بين القوسين غير موجودة في المعلّقة .

(٦) ما بين القوسين غير موجودة في المعلّقة .

(٧) مابين القوسين هو العجز لصدر البيت الرابع في الأبيات المذكورة .(أنظر: موسوعة الشعر ١/ ٣٢٠).

ليت شِعْرِي تهاجَرَ الليلُ والصُـ ـبْحُ فلم يرْعَيا جميلَ الوِصالِ

ولم يزل الناس في سهر وأرقٍ ، وسُهادٍ وقلق ، / ٨١ أ / وابتهال الى الله ببكاء وحرق ، الى أن تبدّى[1] الصبح من أفقه ، وانخلع الليل من غسقه ، وطلع الفجر من فلقه ، ولاح ضياء النهار ، فأخذوا في الانتشار ، وقُصدت الرُمَيْلَة من كل مكان ، فرأى الناس العسكر قد انفرق ، فرقة قد ملأت الصوَّة[2] ، وباب المدْرَج[3] ، وظهرَ البيمارستان العتيق ، وهم المماليك السلطانية الذين كانوا في أساطبلهم ، / ٨١ ب / وعند خيولهم . وركب بعضهم مع الأمراء صورة لا مناصرة ومساعدة ، كما قدّمنا . ووقعت الرماية عليهم من أعلى[4] القلعة ، فأشاروا اليهم بأنهم منهم ، فقال لهم من في القلعة : إن كنتم كما تقولون فقفوا وقاتلوا ، فوقفوا في الأماكن المذكورة ، واستعدوا لمقابلة الأمراء وأظهروا مبارزتهم . والفرقة الأخرى : الأمراء ومماليكهم .

وأما السيفية ، فإنهم / ٨٢ أ / لما رأوا انفراقهم وقلّة جماعة الأمراء ، ولّوا على أدبارهم ، وتراجعوا الى ديارهم ، وولّى معهم في ذلك الوقت « جان بلاط » و « ماماي » وبعض أمراء . فأما ماماي فإنه دخل الى بيته فلم يخرج إلّا بعد صلاة الجمعة ، ولم يُعلم أين ذهب . وأما « جان بلاط » فجاء اليه « قانصوه الشامي » فأخرجه من بيته ورجع به الى الرميلة .

وبلغني من بعض من كان عند / ٨٢ ب / « قانصوه » المذكور أنه في صبيحة نهار الجمعة دخل اليه سبعة مقدّمين ، وقالوا له : نحن لا نقاتل ولا نضارب ، وخرجوا من عنده .

---

(١) في الأصل « تبدا » .

(٢) اسم يُطلق على المنطقة الجبلية الواقعة في الجهة الشمالية البحرية من قلعة القاهرة فيما بين القلعة وجامع الرفاعي ويتوسطها الطريق المعروفة بسكة المحجر ودرب المارستان بخط القلعة . (انظر النجوم الزاهرة ـ ج ١١ / ٤٣ ـ الحاشية رقم ٢) .

(٣) لا يزال الباب موجوداً غير مستعمل بجوار باب القلعة العمومي الذي يُعرف بالباب الجديد من الداخل . (انظر : النجوم الزاهرة ٧ / ١٦٣ ملحوظة رقم ١) .

(٤) في الأصل « أعلا » .

هـذا ، والمماليـك السلطانيـة قـد تكـاثـروا وتـزايـدوا حتى مـلأوا تلك الأماكن . ثم صعد منهم جماعة فملكوا الطبل خاناه المتّصلة بظهر الحراقة التي فيهـا « قانصـوه المتسلطن » ومن معه من الأمـراء ، وكثروا في /٨٣ أ / الـطبل خاناه حتى صارت كأنها شعلة نار من اللبوس . ثم جاء الرُّماة فرموا من الطبل خاناة على من في الرميلة . وصـار بعض رُماة النُّشّـاب ينزل من الصـوّة ويرمي النُّشّاب ، وهو ماشٍ ، حتى يصل الى البرج المتّصل بالحرّاقة ، وأَبْدُوا في ذلك اليوم شجاعة وثباتاً حتى تحيّرت من ذلك العقول .

ولقد شاهدتُ واحداً /٨٣ ب / من المماليك السلطانية لم ترعيني، ولا رأى أحد أشجع منه ولا أقوى جَناناً كان عليه في ذلك اليوم أشـرفيٌّ[1] من الجوخ الحُمْر ، وهو شـاهر سيفـه ، ومعه التـرس ، وبيده القـوس ، فصار ينـزل من الصوَّة ويرمي على الخيّالـة ، والركـاب الذين في الـرميلة ، فيحملون عليه حملَةَ رجلٍ واحد ، فلا يبالي منهم .

وبلغ « كرتباي الأحمـر » أن الأمراء قـد /٨٤ أ / انكسروا ، فنـزل من الجبل ، وجمع الزُّعر[2] والغلمان والقوّاسة[3] ، وجاء بهم الى الـرميلة . فأمـا عبيده فإنهم وقفوا يرمون على من بـالصوّة ، وأمـا الزّعـر والغلمان والقـوّاسة ، فإنهم هربوا من تحت قبو البيمارستان ، وانقلبوا مع المماليك السلطانية وصاروا يقاتلون معهم ، وأمـا « قانصـوه المتسلطن » فإنـه كان قـد نصب صنجقـه أول صعـوده الى باب السلسلة /٨٤ ب / في الحـرّاقة ، ولم يـزل منصـوبـاً من نهار الأربعاء الى اول نهار الجمعة . فلما شاهد تفـرّق عسكره وتمـزّقهم كل ممـزّق ، ورأى ما أظهره المماليك السلطانية من الحرب والثبات ، جمع الأمراء ليتشاوروا في أمـرٍ يفعلونه مـع المماليـك السلطانية ، فـاتفق رأيهم أن يـأخـذوا صنجقهم ويحملوا عليهم بفرقة ممن معهم ، وتقف الفـرقة الأخـرى وراء باب السلسلة ،

---

(١) في الأصل : أشرفياً .

(٢) من الحـرافيش أو الحرافشـة اي الرعـاع والدهماء وضعاف الخلق (العصـر المماليكي ٤٠٨) ويقـال لهم الشلاق اي الرعاع الذين يضايقون الناس في الطرقات ويُدْخلون الخوف في قلوبهم . (السلوك ١/ ٦٩٥ حاشية ١) .

(٣) الذين يضربون بالقوس .

ثم يولّوا /٨٥ أ / ويُظهروا الكسرة حتى يبيدوهم ، فإذا توسّطوا بينهم وبين باب السلسلة خرجت عليهم الفرقة الأخرى من وراء باب السلسلة ، ورجعوا عليهم فأخذوهم وسطاً وقتلوهم عن آخرهم ، واستقر أمرهم على ذلك ، فبينما الناس وقوفاً ليروا ما الذي ينتهي اليه الحال وإذا بباب السلسلة قد فُتح ، والصنجق قد خرج ، وصاحبه تحته ، ومشى إلى /٨٥ ب / ركن سبيل المؤمنين[1] ، ومعه جماعته وأتباعه ، فوقفوا هناك لحظة ، ثم حمل وحملوا معه على المماليك السلطانية فثبتوا لهم ، ورموا عليهم النشّاب من الطبل خاناه ، والصوّة ، وظهْر البيمارستان ، فرجعوا منهزمين الى عند سبيل أمير المؤمنين ، ولم يتبعهم أحد من المماليك السلطانية ، فوقفوا وعلموا أنهم قد تفطّنوا لمكيدتهم ، فتحيّروا في أنفسهم ، ثم إنهم تراجعوا الى باب /٨٦ أ / السلسلة ، وزعق نفيره ، وضرب طبله ليجتمع اليه من أصحابه من تفرّق عنه ، وذلك انه لما خرج من باب السلسلة وحمل ثم أظهر الكسرة هرب من جماعته من كان بعيداً ، ولم يعلم أنه أراد المكيدة فانعكست مكيدته عليه ، وتفرق عنه في ذلك الوقت غالب من تخلّف معه ، وبقي في جمع قليل .

ثم إنهم شرعوا في تدبير مكيدة أخرى ، /٨٦ ب / وهي انهم يفترقون عليهم ثلاث فرق . فرقة تدخل من تحت قبو البيمارستان وتخرج اليهم من باب الوزير ، فإذا اشتغلوا بهم حملت فرقة من عند مدرسة السلطان حسن[2] ، وفرقة من عند باب السلسلة مع جدار القلعة وأخذوا ظهورهم ، واستقر أمرهم على ذلك ، فأخذ « كرتباي الأحمر » معه جماعة ودخل من تحت القبو المذكور ، وخرجوا من تلك /٨٧ أ / الجهة وشالشوهم[3] . وأشغلوهم .

(١) هكذا ذكره « ابن إياس » في تاريخه أيضاً ، وهو سبيل المؤمنين الذي بناه الأمير سيف الدين بكتمر بن عبدالله المؤمني المتوفى سنة ٧٧١ فنُسب إليه . وقد أنشيء السبيل حول سنة ٧٦٥ هـ . وجدّد عمارته السلطان قانصوه الغوري في سنة ٩٠٩ هـ . وهو يقوم بالرميلة تحت القلعة . (النجوم الزاهرة ١١ / ٥٠ ـ الملحوظة رقم ١) .

(٢) وتعرف باسم جامع السلطان حسن ، بناه تجاه القلعة سنة ٧٥٧ هـ . واستمر العمل في بنائه ٣ سنوات ، ولا يزال قائما للآن .

(٣) بمعنى ناوشوهم القتال .

وتفطّن المماليك السلطانية لِما قصدوا ، وعلموا أنهم قد انقسموا عليهم ، فانفرقوا ايضاً ، فجماعة اشتغلوا بالرماية والقتال مع « كرتباي الأحمر » ومن معه ، وحمل « قانصوه المتسلطن » ومن معه من عند باب السلسلة ، و « جان بلاط » و« الشامي » ومن معهما من عند مدرسة السلطان حسن ليأخذونهم من ظهورهم ، فتلقّتهم /٨٧ ب / الفرقة الأخرى ، فرموا عليهم ، ورمى من بالطبل خاناه ومن على ظهر البيمارستان ، وساعدهم العامّة والناس بالحجارة ، فانكسروا ورجعوا ، ورجم الناس « قانصوه الشامي » و« جان بلاط » ومن معهما ، وقُتل من العوام جماعة ، وكبّر الناس عليهم في ذلك الوقت تكبير رجلٍ واحد ، ولم يزالوا كذلك في طعنٍ وفرٍّ وضربٍ وكرّ ، ورمي بالسهام والنشّاب .

وحمل الأمراء /٨٨ أ/ عليهم أكثر من خمس عشرة مرة فلم ينالوا منهم غَرَضاً ، ورجعوا الى باب السلسلة فوقف عنده « قانصوه المتسلطن » وبقية الأمراء حوله متحيّرين في أمرهم .

هذا ما كان منهم . وأما ما كان من المماليك السلطانية ، فإنهم صاروا ينزلون من الطبل خاناه الى ظهر السُور الذي بين الطبل خاناه والحرّاقة ، وكثروا هناك وانتشروا وتوصّلوا الى الحرّاقة ، فلما أحسّ /٨٨ ب / بهم من كان داخل باب السلسلة من جماعة « قانصوه » فتحوا الباب وخرجوا هاربين ، فهرب معهم « قانصوه » المذكور ومن معه ، فلم يقفوا إلاّ عند سبيل أمير المؤمنين . وتبادر المماليك السلطانية الى باب السلسلة فملكوه منهم وقفلوه ، ودخلوا الى الحرّاقات فألقوا جميع ما كان هناك من فرش ، وبُسُط ،وأوانٍ ، ومطابق نحاس ، وأباريق ، وطشوت ، وحلاوات ، وأطعمة ، وخمر ، /٨٩ أ / وغير ذلك ، فنهب الناس جميع ما ألقوه ، وازدحموا في الرُمَيْلة وبأيديهم الحجارة والمقاليع والعصي وغير ذلك . ووقع الرمي من باب السلسلة بالسهام الخطائية وغيرها . وانتشروا على الأسوار الى ان وصلوا الى باب الميدان فقفلوه ، وصعدوا على الحيطان ، ووقع الرمي من سائر جوانب القلعة ، فبينما الناس يشاهدون هذه الأحوال العجيبة والأمور الغريبة /٨٩ ب / وإذا

بقانصوه ومن معه قد ولّوا هاربين لا يدرون أيَّ طريق يأخذون . فماج النـاس من بعضهم بعضاً ، ثم أعلنوا بالتكبير والتهليل والثناء على الله رب العالمين .

وسـألت من كان بـالقرب من سبيـل أمير المؤمنـين فأخبـرني جماعـة أن « قـانصوه » أصيب في وجهـه ببندقيـة أو حجر فمـزّق شدقـه وسال الـدم عـلى / ٩٠ أ/ لحيته وصدره . ولم يزل سائقـاً الى القرب من مـدرسة (المرحوم)[١] شيخون ، فوقع هناك عن ظهر فرسه ، وداسته الخيول . وأُخذت تخفيفته[٢] ، ثم أقيم وهو مُغْمىً عليه ، وأُركب على حمار وهو مكشوف الـرأس ، ومشى به الحمـار خطوات ، ثم غُـطّي رأسه بـزمط[٣] عتيق أبيض ، وتكاثـرت النقـول بذلك[٤] .

وأخبرني من رآه على هذه الحالة فقلت : لقد صدق من قال :

ما أعطى البغيُ / ٩٠ ب / أحداً شيئاً إلا أخذ منه أضعافه .

وصدق من قال : [الهزج]

جـيش الـعـدوان[٥] مغـلـول ووالي الـغـدر مـعـزول

وصدق من قال :

لكل عاثرٍ راحم ، إلاّالباغي ، فإنَّ القلوبَ مُجْمِعَةٌ على الشماتة بمصرعه .

وصدق من قال :

البـاغي باحثٌ عن مُـدْيَة حتْفِـه بظِلْفـه ، ومُتَـردٍّ في مهـاوي تـدميـره ، بمساوي تدبيره .

---

(١) كُتبت بالهامش .

(٢) عمامة تستخدم في مقام التاج عند السلاطين المماليك ومنها : الكبيرة والصغيرة (الملابس ٣١) .

(٣) قلنسوة حمراء لها خصلات أي شراريب طويلة مسدلة بطول الإصبع وملفـوف من حولها شال .(الملابس ٥٩) .

(٤) انظر : بدائع الزهور ٣/٣٤٤ .

(٥) هكذا في الأصل ، وهذا يخلّ بالبيت . والأصح : فجيش البغي مغلول .

/ ٩١ أ / وكانت الكسرة المذكورة وقتَ صلاة الجمعة آخر يوم من جمادى الأولى سنة اثنتين[1] وتسع ماية .

وحُمل « قانصوه » المذكور الى بيته ، ولم يُعلم ما الذي صار له ، غير أنه كما قال الشاعر :

صُبَّتْ عليه مصايبٌ لو أنها صُبَّتْ على الأيام عُدْنَ لياليا

وتفّرق الأمراء الذين كانوا معه فلم يلتفت أحد منهم / ٩١ ب / الى ورائه ، وصاروا كما قال الله تعالى : ﴿ فجَعَلْنَاهُم أَحَادِيْثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾[2] .

وقال عزَّ مِن قائل : ﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً ومَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ . إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، وَأَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا / ٩٢ أ/ يَتَّقُونَ ﴾[3] .

وقَالَ عَزَّ من قائل : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتُها ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ ، وَلَمْ تُسْكَنْ مَنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ، وكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾[4] .

وقال عَزَّ مِن قائل : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِه ﴾[5] .

وقال جلّ ذكره : ﴿ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾[6] .

وانشد لسان الحال متمثلاً بقول من قال : [البسيط]

وفِتيةٌ فتكوا في الناس أزْمِنةً كأنما هادمُ / ٩٢ ب / اللذات آمَنَهُمْ
حتى انتهوا وأتى ما كان موعدهم فأصبحوا لا تُرى إلّا مساكنُهم

---

(١) في الأصل « اثنين » .

(٢) قرآن كريم سورة سبأ ـ الآية ١٩ .

(٣) قرآن كريم ـ سورة النمل ـ الآية ٥٠ .

(٤) قرآن كريم ـ سورة القصص ـ الآية ٥٨ .

(٥) قرآن كريم ـ سورة العنكبوت ـ الآية ٤٠ .

(٦) قرآن كريم ـ سورة الأنعام ـ الآية ١٤٦ .

وقال آخر في ذلك : [مجزوء الكامل]

فأَبُو السَعَاداتِ الذي قد قام حرب قتاله
الناصر الملك الذي عمَّ الورى بنَوالَه
لا تعجبوا مما جرى للجُنْد من زلزاله
/ ٩٣ أ/ وتشتُّتٍ لجمو عه وتمزُّقٍ لحباله
وظهورِ أحوال النسا ءِعلى فحول رجاله
وهزيمةٍ ما مثلها تبكي على أحواله
والرعب عمَّ خميسَهم في الأربُعا بجلاله
والجمع نادى بجُمعة متمزّقاً بضلاله
أنظر إلى البطل الشجا ع يجول في أبطاله
أضحى صريعاً في الوغى يشكو[1] بحدّ نِصاله
/ ٩٣ ب/ والرأس منه حا سر وقيامه كالوالِه
فهم شياطين بغوا يغشون أُفْق كماله
فرقتهم شُهُبُ السنا من نور حُسْن جماله

وفي ذلك اليوم ، استقر الأمير « كرتباي » (ابن عم المقام الشريف)[2] في إمرية أخور كبير عوضاً عن « قانصوه الألفي » ، وأنعم على الأمير « أينال السلاح دار » بالولاية عوضاً عن « مسرباي الثور » ، وبالجبة الشريفة على « ابن العيني »[3] .

/ ٩٤ أ/ وفي عشية نهار الجمعة الذي وقع النصر فيه لمولانا السلطان الملك الناصر ، زاده الله نصراً ، ونشر له في الخافقين ذكراً ، برزت المراسيم الشريفة ، شرّفها الله وعظّمها ، بإشهار النداء لجميع الخاصكية ، وأمراء العشراوات ، والأربعينات ، بالأمان . وظهر أكثرهم ، وقبّلوا الأرض بين

(١) في الأصل « يشكوا » .
(٢) كتبت بالهامش .
(٣) هو الناصري محمد بن الشهابي احمد بن العيني . قرره الناصر محمد بن قايتباي في نظر الجوالي في ربيع الأول ٩٠٢ هـ . (ابن اياس ٣/ ٣٤٠) .

يـدي المواقف الشـريفة ، فلم يعـاتب واحداً منهم ولا آخـذه[1] /٩٤ ب / بما وقع منه . فكان هذا من عجيب ما وقع في الحلم .

وكـانوا عتقـاء[2] والده من الحـرق فصـاروا عتقـاءه[3] من القتـل لأنهم معترفون بالخطأ[4] وليس لأحد منهم عذر ولا حجة .

ثم برزت المراسيم الشريفة بـالإفراج عن الأمـير « تمراز » والأمـير « تاني بك قرا » وإحضارهما من ثغر اسكندرية المحروس .

وكان من المكايد التي نصبها « قانصوه » المذكور /٩٥ أ / أن أشاع قبل هذه الواقعة بأيام يسيرة أن النـايب بثغر اسكنـدرية المحـروس ، قد عـزم على الهروب ، ولم يكن ذلك حقيقة ، وأخبر بـذلك المقـام الشريـف ، نصـره الله ، واستأذن المقام الشريـف ، نصره الله ، في إرسال « بيبردي » الى الثغـر المذكـور بالكشف على النايب المذكور ، وأن يكون على يده مراسيم شريفة بالحضور الى /٩٥ ب / بين يدي المواقف الشريفة .

وتجهــز « بيبـردي » وهــو ابن عم « قـانصــوه » المـذكــور الى الثغــر السكندري ، وأظهر المراسيم الشريفة التي فيها أمر النايب بالحضور الى مـا بين يدي المواقف الشريفة ، ثم أظهر «بيبردي » مراسيم أخرى بـأن يكون نـايباً في الثغر الى أن يُعيّن له نايب ، وقصد أن يكون /٩٦ أ / الثغـر السكندري بيـده ليسهل عليه التوصل الى إيذاء الأميـرين المشار إليهما .

وتوجّه القصّاد بالمراسيم الشريفة الى نايب البرج السلطاني الأشرفي الذي بالثغر المذكور بالهنا والبشارة بنُصْرة مولانا السلطان الملك الناصر ، نصره الله ، والإفراج عن الأميـرين المشار إليهما . فحضـر نايب البـرج ، و « بيبردي » ابن عم « قانصوه » /٩٦ ب / المذكور الى الأميرين المشـار إليهما وكل واحد منهما

(١) في الأصل « آاخذه » .
(٢) في الأصل « عتقاً » .
(٣) في الأصل « عتقاه » .
(٤) في الأصل « الخطاء » .

في مكـان . فلما أفـرج عنهما اظهـر القصّـاد مـراسيم شـريفـةً بـالقبض عـلى « بيبردي » ووضعه في البرج ، واستقرار نـايب البرج في نيـابة الثغـر المحروس أن يُعيّن له نايب . فاستقرّ في ذلك وحفظ الثغر وحصّن اسواره .

وفي عشيّة ذلك اليـوم وصل « قـانصوه الشـامي » و « مسربـاي الثور » /٩٧ أ / وبعض أمراء وخاصكيّة الى الثغر السكندري وطلبوا الدخول لإيقـاع الفِعْـل بالأميـرين المشـار إليهـما ، وتملّك الثغـر ، وأخـذ مـا فيـه من السـلاح والـزردخانـاه بنـاء[1] منهم عـلى أن « بيبـردي » متسلّم الثغـر ، فلم تُفتـح لهم الأبـواب ، فقـالـوا : نحن قصّـاد السلطان . فقـال لهم البـوّابـون وأصحـاب الادراك : إن كنتم كما تقولون فأقيموا الى الصباح .

وبلغ المقام /٩٧ ب / الشريف ، نصره الله تعالى ، تـوجّهُ الأمـراء الى الثغر المذكور ، فأحضر « الجويلي » شيخ عـرب البحيرة وأخلع عليـه ، وأرسله في إثرهم ، فأدركهم بالقرب من الثغر المذكـور ، فاقتتلوا . وغلب « الجـويلي » وقتـل « مسـربـاي » وقبض عـلى الشـامي ، وعلى بعض أمـراء عشـراوات ، وخـاصكية ، وهـرب الباقـون ومعهم طـايفـة من العـرب ، ودخلوا بقـانصـوه الشـامي ومن معـه /٩٨ أ / من الأمـرا الى الثغـر السكنـدري ، فحُبِسـوا هناك[2] .

ووصـل الخبر الى القـاهرة بـالقبض على الأمـرا المذكـورين نهار الجمعة المبارك سابع جمادى الآخر ، في الوقت الذي انكسروا فيـه . فتأمّلْ رحِمكَ الله هذا الاتفاق العجيب .

وفي نهار الأحد وصل الأمـير « تمراز » والأمـير « تاني بـك قُرا » ، عـظَّم الله شأنهما ، من الثغر /٩٨ ب / السَّكَنْدَري . فسُـرّ المقام الشريف بهما وأفاض عليهما الخُلَع .

---

(١) في الأصل « بنا » .

(٢) انظر : بدائع الزهور ٣٤٦/٣ .

وفي صبيحته استقرّ الأمير « تمراز » في الامريّة الكبرى ، والأمير « تاني بك قُرا » في إمريّة مجلس ، عوضاً عن الأمير « أزبك الخازندار » بعد استعفايه منها لكبره وضعفه .

ونصر الله المَقامَ الشريف على العِدا ، وثبّت قواعد مُلْكه فلا يقدرون عليه أبداً . وأيّده /٩٩ أ / بملائكته الكِرام ، وحفظه من كل سوء[١] ليدوم عزّه على المسلمين والإسلام .

وقد أحببت أن أختم هذا الباب بحكايتين تنتظمان[٢] معه في سلكه العجيب وأنموذجه الغريب .

الحكاية الأولى :

بلغنا ان الخليفة « عبد الملك بن مروان » لما نَدَبَ الناسَ لقتال عبد الله ابن الزُّبير[٣] /٩٩ ب / وخرج بهم متوجّهاً الى مكة المشرّفة استصحب « عَمْرو ابن سعيد بن العاص »[٤] . وكان « عمرو » قد انطوى على دغل نيّة ، وفساد طويّة ، وطماعيّة في نيل الخلافة . وكان الخليفة قد تفطّن لذلك إلّا انه كان ينفي عليه لتأكد حُرْمته . فلما كان في بعض الطريق تمارض « عمرو بن سعيد » ، واستأذن أمير المؤمنين « عبد الملك » في العَوْد إلى دمشق ، فأذن[٥]

---

(١) في الأصل « سؤ » .

(٢) في الأصل « يتنظمان » .

(٣) انظر عنه : تهذيب ابن عساكر ٧/٣٩٩ ـ ٤٢٦ ، نسب قريش ٢٣٧ وما بعدها ، المحبّر ٢١و٥٥ و٥٨و ٢٧٥و ٣٠٥ و ٤٨١ ، المعرفة والتاريخ ١/٢٤٣ و ٥٤٣ ، الجرح والتعديل ٥/٥٦ ، الطبري ٥/٥٦٣ و ٥٨٢و ٦٢٢و ٦/١٦٦و ١٨٧ ، مروج الذهب ٣/٢٧٢ وما بعدها ، حلية الأولياء ١/٣٢٩ ، جمهرة انساب العرب،انظر الفهرس ، الاستيعاب ٩٠٥ ، أسد الغابة ٣/٢٤٢ ، الحلة السيراء ١/٢٤ ، تهذيب الأسماء واللغات ١ ق ١/٢٦٦ وفيات الأعيان ٣/٧١ ، سير أعلام النبلاء ٣/٣٦٣ ، تاريخ الاسلام ٣/١٦٧ ، البداية والنهاية ٨/٣٣٢ ، الإصابة ٢/٣٠٩ ، شذرات ١/٧٩ .

(٤) طبقات خليفة ٢٨١١ ، التاريخ الصغير ١/١٥٩ ، الجرح والتعديل ٦/٢٣٦ ، نسب قريش ١٧٥ ، المحبّر ١٠٤ ، تاريخ الطبري ٥/٤٧٤ ، مروج الذهب ٣/٣٠٣ ، أنساب الأشراف ٤/٤٤١ جمهرة انساب العرب ٨١ الاستيعاب ١١٧٧ ، تاريخ الاسلام ٣/٥٧ ، البداية والنهاية ٨/٣١٠ ، الإصابة ٣/١٧٥ ، تهذيب التهذيب ٨/٣٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/٤٤٩ ، الكامل في التاريخ ٤/٢٩٧ ، خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٥ .

(٥) في الأصل « فإذن » .

/ ١٠٠ أ/ له . فلما دخل دمَشق صعد المنبر فخطب[١] الناسَ خُطْبةً نال فيها من الخليفة ، ودعا الناس الى خلعه ، فأجابوه الى ذلك ، وبايعوه . فاستولى على دمشق ، وحصّن سُورَها ، وسدّ ثغورها ، وبذل الرغايب للناس . فبلغ ذلك عبد الملك ، فخرج الى وزرائه ، وأطلعهم على ما بلغه ، وقال لهم : هذه دمشق دار ملكنا قد استولى عليها « عمرو بن / ١٠٠ ب / سعيد » . وهذا « عبد الله بن الزبير » قد استولى على الحجاز والعراق ومصر واليمن وخُراسان . فلما سمع الوزراء[٢] مقالته ذُهلَت عقولهم ، وعلموا أن لا مقرّ ولا مفرّ . فنكّسُوا رؤوسهم[٣] ولم ينطقوا . فقال لهم الخليفة : ما لكم لا تنطقون ؟ أحضروني غِناكم ، وهذا وقت الحاجة اليكم . فقال له أفضلهم : أيّ غناءٍ عندنا في هذا . وددت والله / ١٠١ أ / أني كنت حِرْباء[٤] على عُودٍ من أشجار تِهامة[٥] حتى تنقضي هذه الفتن . فلما سمع « عبد الملك » مقالته علم أن لا غناء عند وزرائه ، فقام عنهم وأمرهم بلزوم موضعهم ، وركب من فوره منفرداً . وأمر جماعة كثيرة من شجعان أصحابه وفُرسانهم أن يركبوا في السلاح ويتبعوه مُبْعِدين منه بحيث يرون إشارته إن أشار إليهم ، ففعلوا . فلما / ١٠١ ب/ فارق عسكره انتهى الى شيخ كبير السنّ ضعيف الجسم يجمع السُّمّاق ، فسلّم عليه وآنسه بحديث خفيف ، ثم قال له : أيها الشيخ ، ألك علم بمنزل هذا العسكر ؟

فقال الشيخ : بلغني أنهم نزلوا بموضع كذا .

فقال له الخليفة : (هل بلغك)[٧] شيء مما يقول الناس من أمر الخليفة ؟

---

(١) في الأصل « فخاطب » .

(٢) في الأصل « الوزرأ » .

(٣) في الأصل « روءسهم » .

(٤) في الأصل « حربا » .

(٥) بكسر التاء ، وهي تساير البحر منها مكة . والحجاز ما حجز بين تهامة والعروض وسمّيت تهامة لشدة حرّها وركود ريحها . (معجم البلدان ٢ / ٦٣) .

(٦) كُتبتا في الهامش .

فقال الشيخ : ما سؤآلك عنه ؟

فقال له عبد الملك : إني أريد اللحاق به /١٠٢ أ / والدخول في أصحابه ، والتعرّض للحظوة عنده .

قال الشيخ : إني أراك أديباً وضيّاً ، وأحسبك حسيباً سرياً ، فهل تحب أن أنصح لك فيما أنت قاصده ؟

فقال عبد الملك : ما أحوجني الى ما تقول .

فقال الشيخ : ينبغي لك ان تصرف نفسك عن هذا الذي ترغب إليه ، فإن الملك الذي أنت قاصده قد انحلّت عُرى مُلْكه ، /١٠٢ ب / وتنابذه أتباعُه ، واضطربت أموره . وإن السلطان في حال اضطرابه في أموره كالبحر في حال هيجانه ، فلا ينبغي أن يقرب .

فقال الخليفة : أيها الشيخ إني أجد نفسي ترغب في صحبة هذا الأمير ، ولا بدّ لي من ذلك ، فهل لك ان تحسن إليّ فتخبرني بما تراه من الرأي عليه ، فلعلّه أن يكون سبباً لقربي منه .

فقال الشيخ : ما معناه[1]/١٠٣ أ / ان عبد الملك خرج لمحاربة ابن الزبير فظهر من إرادة الله تعالى ومشيئته صدّه عن ذلك بما حدث في دار ملكه من وثوب عمرو على منبر خلافته ، واستفساده لرعيّته . وإني مشير عليك بأن تتفقد أحوال عبد الملك ، فإن رأيته قصد ابن الزبير فاعلم انه مخذول ، وإن رأيته رجع من حيث جاء[2] فارج له السلامة لأنه مستقيل .

فقال له عبد الملك : /١٠٣ ب / وهل رجوعه الى دمشق إلا كمسيره الى ابن الزبير ؟

فقال الشيخ : ان الذي خفي عليك لظاهر ، لأن عبد الملك إذا قصد

---

(١) في الأصل « معنا » .

(٢) في الأصل « جأ » .

ابن الزبير كان في صورة ظالم ، لأن ابن الزبير لم يدخل في طاعة قطّ ولا وثب له على مملكته . وأما إذا قصد عمراً فإنه يكون في صورة مظلوم ، لأن عمراً كان من أحد رعاياه ، فطلب الخلافة لنفسه ، واغتصب /١٠٤ أ/ دار ملك لم تكن له ولا لأبيه ، بل كانت لعبد الملك ولأبيه ، ثم إن عَمْراً ظالم من وجه آخر ، وهو أن عبد الملك كان ساعٍ في تشييد عِزٍّ ، نصيب عمرو منه موفور ، فغدر به عمرو وخذله وسعى في هدم عزّه من أصله ، وأشمت به عدوّهما معاً ، وعلى الجملة فالأمر شديد الخطر ، ورجوع عبد الملك إلى دمشق أشبه بالتفويض والتسليم لأمر الله / ١٠٤ ب / مما سوى ذلك .

فسُرّ عبدُ الملك بمقالة الشيخ ، وعزم على اتّباع مشورته ، وقال له : جُزيت خيراً ، فقد أحسنت إليّ ، وإني أريد أن تذكر لي اسمك ومنزلك ، لعلّي ألقاك في غير وقتي هذا .

قال الشيخ : ما أَرَبُكَ في ذلك ؟

قال : لأ(قضي)[1] حقك وأجزيك على نُصحك .

قال الشيخ : إني أعطيت الله عهداً أن لا أقبل عطيّة بخيل .

/ ١٠٥ أ /قال عبد الملك : ومن أين لك أني بخيل ؟

قال : لأنك أجّلت مكافأتي مع قدرتك على تعجيلها ببعض ما أرى من سلاحك ، وبزّك .

فقال عبد الملك : إني ذُهلت عن ذلك ، ، فخذ هذا السيف ولا تُخدع عنه ، فإن قيمته عشرون ألفاً .

فقال الشيخ : قد حقّقْتَ عندي بُخْلَك باستكثار القيمة ، واعترفت

(١) كتبت في الهامش .

أيضـاً /١٠٥ ب / على نفسـك بأنـك ذاهل ، فحسبي عـطاء[1] ربي الذي لا يبخل ولا يذهل .

فعلم عبد الملك فضله وزهده . فقال له : إني أنـا عبد الملك ، فـارفع إليّ ما شئت من حوائجك .

فقال الشيخ : وأنا أيضاً عبد الملك ، فعَلاَمَ[2] نرفع حوائجنا إلى من أنـا وأنت له عبدان ؟

فذهب عبد الملك وعمل برأيه ، فظفّره الله على عدوّه الباغي الخائن .

/١٠٦ أ/ الحكاية الثانية :

بلغنا أن « الخنشوار » ملك الهياطلة ،[3] لما أسر « فيروز بن يزدجرد »[4] ملك فارس ، وأراد إطلاقه أخذ عليـه عهداً أن لا يغـزوه ولا يقصده بمكـروه، وجعل في أقصى تخوم أرض الهياطلة صخرة ، وتحالفا أن لا يتجـاوز أحد منهم تلك الصخرة بجيش ولا مكروه .

ولما استوثق « الخنشـوار »[5] من « فيروز » /١٠٦ ب / بمـا أخذه عليـه من عهـود المسالـمة أطلقه . فلما رجـع « فيروز » الى دار مملكتـه داخلته الحميّـة والأنفة عـلى غـزو « الخنشـوار » ، وأطلع وزراءه[6] عـلى ذلـك ، فحـذّروه النُكث ، وخوّفوه عاقبة البغي ، فما ردعه ذلك عما هَمَّ به ، فأذكروه أيْمانـه التي حلفها للخنشوار انـه لا يتعدّى الصخـرة التي وضعها في أقصى تخـوم أرضه . فقال لهم : /١٠٧ أ / إني عاهدته على أن لا أتجاوزها وأنا آمر من يحملها عـلى فيـل بين يـدي جيوشي ، ولا يتجـاوزهـا أحـد منهم . فلما سمعـوا ذلـك منه

---

(١) في الأصل « عطاً » .
(٢) في الأصل « فعلم » .
(٣) قوم من الأتراك .
(٤) انـظر عنه في : تـاريخ سني ملوك الأرض والأنبيـاء ـ حمزة بن الحسن الأصفهـاني ـ ص ٥٠ ـ طبعة مكتبـة الحياة ، بيروت .
(٥) في الأصل « الخنشور » .
(٦) في الأصل « وزرأه » .

أمسكوا عنه ، وعزموا أن لا يراجعوه في شيء ، فجمع مرازبته[1] ، وهم أربعة ، تحت يد كل رجل منهم خمسون ألف مقاتل ، يربط بكل واحد منهم ربعاً من أرباع مملكته ، وأمرهم بالتجهز لحرب الهياطلة /١٠٧ ب / ففعلوا .

وسار « فيروز » في جنوده التي لا يظن ان لا غالب لها . وكان « الخنشوار » يضعف عن مقاومة « مَرْزُبان » واحد من مرازبته ، وإنما كان ظفر به اولاً بمكيدة .

وكان « مويذان مويذ » ومعنى هذا الاسم : « حافظ حفظة الدين » ، وهو عند الفُرس كالنبي ، لما علم عزم « فيروز » على غزو « الخنشوار » قال له : لا تفعل أيها الملك ، فإن رب العالم يمهل /١٠٨ أ / الملوك على الجور ما لم يأخذوا في هدم أركان الدين ، فإذا أخذوا في ذلك لم يمهلهم . وإن العهود والمواثيق ركن من أركان الدين ، فلا تتعرّض له بسوء . فلم يلتفت « فيروز » الى هذه المقالة ، وركب رأسه في معصية نصحايه ، وسار بجيوشه حتى انتهى الى الصخرة التي بين أرضه ، وبين أرض « الخنشوار » ، فأمر بها فحُملت على فيل ، /١٠٨ ب/ وسيّر بها بين يدي الجيوش ، فما بعُد حتى أتاه آتٍ فأخبر أن إسواراً[2] عظيم القدر من أساورته قتل رجلاً مسكيناً ظلماً ، ثم جاء[3] أخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز وسأله أن يمكّنه من قاتل أخيه ، فأمر له « فيروز » بمالٍ يرضيه به من دم أخيه ، فامتنع من قبول المال ، وقال : لا يرضيني إلا قتل قاتل أخي ، فأمر « فيروز » بطرده ، فانطلق /١٠٩ أ / من فوره الى ذلك الإسوار الذي قتل أخاه فشدّ عليه بخنجر في يده ، فلما رآه الإسوار حرّك فرسه هارباً بين يديه . وانتهى خبر ذلك الى « فيروز » فتعجب

---

(١) مفردها : مرزُبان ، وهو رئيس الفرس ، مركّب من « مَرْز » ومن « بان » أي : حافظ الحدود . (معجم الألفاظ الفارسية المعربة ـ السيدادي شيرـ ص ١٤٥ ـ طبعة مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٨٠) .

(٢) في اصطلاح الفرس : الإسوار هو القائد أو الرئيس ، والأساورة قوم من الفرس ربما كانوا قواداً قبل ابتداء الدولة الساسانية فلُقّبوا بذلك ، أو ربما استحدثهم اردشير بن بابك أول ملوك الدولة الساسانية ولقّبهم بهذا اللقب إما لكونهم حُماة الحرب مخصوصين بقيادة الجيش او لأنهم كانوا في مجلس الطبقة الأولى من أصحاب الرُتب يجلسون مع ابناء الملوك عن يمين الملك . (دائرة معارف بطرس البستاني ٣٢١/٤) .

(٣) في الأصل « جأ » .

منه وتقدم إليه أفضل وزرائه ، فنزل عن دابّته وسجد له ، فسأله « فيروز » عما يريد ، فذكر انه محتاج الى أن يخلو[1] به ، فأمر « فيروز » فضُربت له قبة في ذلك الموضع ، ونزل /١٠٩ ب / وأحضر وزيره فسأله عن خطْبه ، فقال له الوزير : أيها الملك ملكت الأقاليم السبعة ، وعمّرت عمراً طويلاً . لقد ظهرت عناية الرب الأعلى بك لما ضربه من المثل ، في أمر هذا الإسوار ، إذ كان إسواراً نجداً فرّ من مسكين في يده خنجر ، وما ذلك إلاّ لبغيه وتعدّيه ، فقال الملك : إنه لم يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا لأجل فعلته /١١٠ أ / السابقة التي[2] لا يأمن أن نعاقبه عليها . فقال الوزير : أرأيت أيها الأمير أن دعوته لمبارزة هذا المسكين ، وآمنته من سطوتك فانتصر عليه المسكين ، أما تعلم أن هذا مثلاً ضربه الله لك . فقال الملك : لأفعلنّ ذلك . ثم أحضر الإسوار وأمره بمبارزة المسكين الطالب لدم أخيه ، وأحضر ذلك المسكين ، وعرض عليه مبارزة الإسوار ، /١١٠ ب / فأظهر الرغبة فيها والحرص عليها ، فخوِّف من الهلاك فلم يخَف . فقيل له : أما ترى دِرْعَه وسلاحه وفرسه ، أما سمعت بنجدته وشجا(عته)[3] وإنك مُهْلِكٌ نفسك ، ولا إثْمَ علينا فيك . فقال : دَعُوني وإياه ، فإنه على فَرَس الغرور ، وأنا على فرس البصيرة ، وهو لابس دِرع الشك ، وأنا لابس درع الثِقة وهو مقاتل بسيف البغي ، /١١١ أ/ وأنا مقاتل بسيف الحق ، فقال الوزير لفيروز : ان كلام هذا المسكين أبلغ في الموعظة من الظَفَر بهذا الإسوار ، فاسْتَبْقِ إسوارَكَ ولا تعرِّضْه للهَلَكَة ، وأرضِ هذا المسكين في دم أخيه ، فإنْ لم يرض فَاقْضِ له بالعدل المعهود منك . فقال الملك : لا بد أن يلقاه ، إن كان المسكين يريد ذلك ، فاختار المسكين لقاءه[4] ورغب فيه .

/١١١ ب / ثم إن كل واحد منهما تحرّك نحو الآخر ، فضرب الإسوار ذلك

---

(١) في الأصل « يخلوا » .
(٢) في الأصل « الذي » .
(٣) كتبت بالهامش .
(٤) في الأصل « لقأه » .

المسكين ضربة طأطأها فأصاب ذباب السيف إلْيَتَه ، فأثّر فيها أثراً ليس بالشديد ، وقبض المسكين على لجام فرس الإسوار ، ثم ضربه بالخنجر في عنقه ، وجذبه فصرعه ، ثم ضربه ضربة أخرى ، فأدخل حلقاً من الدرع في جوفه وقبض عليه ، فبات فيروز في مكانه ذلك /١١٢ أ / يدبّر رأيه ، ثم انقاد لهواه .

ولما بلغ « الخنشوار » قصْد « فيروز » إيّاه في جيوشه حمل نفسه على التثبّت ، ووكل الأمر لله الرب الأعلى ، وسأله ان يغضب لعهده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها ، ولا خاف تبعة نكثها . وأخذ مع ذلك بخطة من الحزم ، فسدّ ثغوره ، وجمع إليه جنده وأعّد للقاء[1] عدّته ، حتى انتهك « فيروز » حرمته /١١٢ ب / ووطىء بلاده ، وتوسّط مملكته ، وعاث في أرضه ، نهض إليه ففاجأه ، وصَدَقَه الجلاد ، فانكشف « فيروز » منهزماً ، وأسلم ما كان بيديه ، فقتل « الخنشوار » رجاله ، وغنم أمواله ، وأمعن في طلب « فيروز » حتى ظفر به فقتله ، وأسر أهل بيته وحماة أصحابه ، وسائر حاشيته . فهذا كان عاقبة أمره ونكثه للأيْمان والعهود[2] .

---

(١) في الأصل « للقإ » .

(٢) أنظر رواية مختصرة مشابهة في « تاريخ اليعقوبي ١/ ١٦١ » .

الباب الرابع

/ ١٣ أ/ الباب الرابع
فيما رُوي له من المنامات ، وما نطق به أصحاب الأحوال والكرامات
مما دلّ على نُصْرته وسُمُوّه ، وعِظَم شأنه وعُلُوّه

فمن ذلك ، ما وقع من الشيخ العارف ، صاحب الكرامات والمعارف ، الشيخ عبد القادر الدشطوطي ، نفع الله به ، وأفاد / ١١٣ ب / من بركته . وهو أنه جاء الى المكحلة التي يقال لها المجنونة ، وكان « كرتباي الأحمر » أراد أن ينقلها ليرمي بها على القلعة المنصورة ، فضربها بيده المباركة ، وقال لها : أرقدي يا مباركة فليست هذه نوبتك ، ودار حولها وجعل يقول : منصور .

فلما كان في غد ذلك اليوم أراد « كرتباي » المذكور نقلها للرمي بها ، فجمع قريباً من مايـة /١١٤ أ/ رجل لينقلوها الى مكان الرماية فعجزوا عن ذلك ولم يأتوا فيها بطائل .

وفي القاهرة امرأة مجذوبة يظهر منها مكاشفات كثيرة تسمى الشيخ « أحمد » ! كانت في هذه الأيام تكثر في كلامها : « الناصر منصور » .

وسمعت شخصاً مجذوباً يلازم المدرسة البَرْقُوقيّة[1] ، يقال له « عبد القادر » وهو يقول يوم حدوث هذه الواقعة ، وقد أشيعت سلطنة /١١٤ ب /

(١) قال ابن تغري بردي انه لم يُعمّر مثلها بين القصرين (النجوم الزاهرة ١٢/١١٣) وهي من بناء السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ ـ ٧٩٢ هـ .) وقد تأسست في شهر رجب سنة ٧٨٦هـ . (النجوم ١١/ ٢٣٩) .

« قانصوه » : هذا ما هو سلطان ، هذا ما هو سلطان . وصار يكرّر ذلك لنفسه ليس عنده أحد .

وأخبرني الوليّ العارف الشيخ « نور الدين الحسني » انه سمعه يقول ذلك أيضاً .

ورأيت شخصاً مجذوباً مكشوف الرأس والبدن ، وقد ألصق ظهره الى جدار عند باب الوزير ، وجعل وجهه الى جهة القلعة ، وهو واقف شاخص لا يردّ بصره /١١٥ أ / عن النظر الى القلعة كهيئة الحارس لها .

وأما المنامات التي سمعت من الناس وتراءوها[١] قبل وقوع هذه الحادثة وهي دالّة عليها ، وفي أثنائها فكثير اقتصْرتُ منها على بعضها خوف الإطالة .

رأى بعض الفقراء النبي ﷺ في منامه ، والملك الأشرف والد المقام الشريف واقف بين يديه ، كهيئة المدّعي ، وهو يقول :/١١٥ ب / يا رسول الله خذ حقي من هؤلاء ، كنتُ حلّفتهم وأخذتُ عليهم العهد والميثاق أن لا يولّوا ولدي ، فنكثوا وولّوه ، وحلفوا له ثم نكثوا وغد(روه)[٢] . قال الرائي :[٣] فقال له رسول الله ﷺ : « لا تخف هو المنصور » .

وأخبر « الهاروني المالكي » قال : أخبرني فلان العُمَريّ ، وسمّى شخصاً من تلاميذ سيدي « أبي العباس العمري » ، نفع الله /١١٦ أ / تعالى به وأفاد من بركته ، فقال : رأيت النبي ﷺ في المنام ليلة الجمعة ، التي كان النصر في يومها ، جالساً في مكانٍ ما ، فدخل عليه علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، فقال له : يا رسول الله ما جاء[٤] بك الى هذا المكان ؟ فقال له رسول الله ﷺ : « جئت لنصرة محمد بن قايتباي » ، فقال له علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : يا رسول الله /١١٦ ب / أنا أتوجّه في ذلك ، فقال

---

(١) في الأصل « ترأوها » .

(٢) كتبت في الهامش .

(٣) في الأصل « الرأي » .

(٤) في الأصل « جأ » .

له رسول الله ﷺ : « إفعل » . فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

قال الرائي[1] : فخرجت في إثره ، فلقيه جماعة وقع في بالي أنهم أولياء، فقالوا له : الى أين يا ابن عم رسول الله ؟ قال : لنصرة محمد بن قايتباي . فقالوا : نحن نتوجه في ذلك . قال : كلكم أو أحدكم ؟ فتقدم واحد منهم وقال : /١١٧ أ / أنا أتوجّه في ذلك . فقال له علي رضي الله عنه : سر على بركة الله ورسوله . قال الرائي[1] : فسار وتبعته الى أن جاء[2] الى مكانٍ فيه جمع كثير ، فأخذ حجراً بيده وضربه ، فرأيته قد أصاب « قانصوه » المذكور ، فوقع على وجهه ، فأُخذ من الرعب . واستيقظت من منامي .

وذُكر هذا للناس صبيحة نهار الجمعة قبل حدوث النصرة فوقع الأمر كما رأى .

/١١٧ ب / ورأى[3] شخص من طلبة العلم الشريف في منامه كأنه في مكان ، وإذا برجلين قد أقبلا ، عليهما أُبّهة ووقار وحشمة وسكون ، يد أحدهما في يد الآخر ، فأعجبني ما رأيت من حسن هيئتهما ، فسألت عنهما ، فقيل لي : أحدهما الإمام الشافعي ، والآخر الإمام الليث[4] فقلت : الى أين يذهبان ؟[5] فالتفتا إليّ وقالا : لنُصرة هذا الذي بُغي عليه .

/١١٨ أ / وأخبرني الشيخ الصالح الزاهد العابد « جمال الدين الحِصْني » نفع الله به ، قال : أخبرني شخص من أهل الخير والديانة انه رأى في منامه الإمام الشافعي والإمام الليث رضي الله عنهما راكبين على خيول ، ومعهما جماعة ، الى

---

(١) في الأصل « الراي » .

(٢) في الأصل « جأ » .

(٣) في الأصل « راي » .

(٤) يريد الليث بن سعد بن عبد الرحمن إمام أهل مصر في الفقه والحديث ، المتوفى سنة ١٧٥ هـ . (انظر ترجمته في : حلية الأولياء ٣١٨/٧ ، مروج الذهب ٣٤٩/٣ ، تاريخ بغداد ٣/١٣ ، صفة الصفوة ٢٨١/٤ ، تذكرة الحفاظ ٢٢٥ ، ميزان الاعتدال ٤٢٣/٣ ، العبر ٢٦٦/١ ، الجواهر المضية ٤١٦/١ ، وفيات الأعيان ١٢٧/٤ ، النجوم الزاهرة ٨٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٤٥٩ ، صبح الاعشى ٣٩٩/٣ ، شذرات الذهب ٢٨٥/١) .

(٥) في الأصل « يذهبا » .

أن وصلا الى باب القرافة ، فنزل الإمام الشافعي رضي الله عنه عن فرسه وضرب لها وتداً وربطها فيه /١١٨ ب / ثم قال للإمام الليث : أدخل أنت الى الإسطبل فاربط فرسك هناك ، ثم التفت الى الجماعة التي كانت معهما ، فقال لهم : إصعدوا الى الجبل ، فصعدوا واحتاطوا بالقلعة ، واستداروا بها ، واستيقظت .

وأخبرني رجل من أهل حلب قال : رأيت في منامي كأني في مسجد ، فيه جماعة ، وقع في خاطري أنهم أوليا ، وإذا بامرأة قد أقبلت عليهم /١١٩ أ/ فلما رأوها نهضوا إليها وسألوها الجلوس فامتنعت من ذلك ، فسألوها : الى أين ؟ فقالت : لنُصرة محمد الناصر . فقاموا معها فسألت من بعض الحاضرين عنها ، فقال لي : هذه السيدة نفيسة[1] ، فحصل عندي خشوع أيقظني من منامي .

وأخبرني الشيخ العارف بالله تعالى « نور الدين الحسني » الساكن بمدرسة السلطان حسن /١١٩ ب/ قال : أتاني شخص فذكر لي انه رأى في منامه سيدي أبا العباس الحرار ، وكأن المقام الشريف ، نصره الله ، يذكر له بغي الأمراء[2] عليه ، فقال له : ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللهُ ﴾[3] . ﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾[4] . ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾[5] .

وأُخبرت أن شخصاً /١٢٠ أ/ رأى في منامه السلطان الملك الأشرف أبا

---

(١) بنت الأمير حسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، كان أبوها أمير المدينة للمنصور ، ودخلت هي مصر مع زوجها المؤتمن اسحاق بن جعفر الصادق فأقامت بها وكانت عابدة زاهدة كثيرة الخير ، وكانت ذات مال تُحسن الى الزمني والمرضى وعموم الناس . ولما ورد الشافعي مصر كانت تحسن اليه . ماتت في سنة ٢٠٨ وكان زوجهاعازماً على نقلها ليدفنها بالمدينة المنورة فسأله أهل مصر أن يدفنها عندهم فدفنت بمنزلها بدرب السباع . (حسن المحاضرة ١/٢١٨) .

(٢) في الأصل « الأمر » .

(٣) قرآن كريم ـ سورة الأنفال ـ الآية ٦٢ .

(٤) قرآن كريم ـ سورة الصافات ـ الآية ٩٨ .

(٥) قرآن كريم ـ سورة الأنبياء ـ الآية ٧٠ .

النصـر « قايتبـاي » ، رحمه الله ، وهـو راكب على فـرس عالٍ ، وإذا بمـولانـا السلطان الملك الناصر قد أقبل وهـو راكب على فـرسه ، فسلّم عليـه ووقف ، وإذا بشخص آخر لا أعرفه قد أقبل إليهما ، وهو راكب على فـرس أيضاً ، فلما وصل إليهما سلّم عليـه السلطان /١٢٠ ب / الملك الأشرف ، وجعـل يوصيـه بولده الملك الناصر ، وهو يقول : لابـأس عليه . لابـأس عليه . فسـألت عن ذلك الرجـل من هو ؟ فقيـل لي : هذا أبـو العباس الخضـر ، ثم رجع مـولانا السلطان الملك الناصر من حيث جاؤ ا . واستيقظت من منامي .

وأخبـرني أخي في الله تعـالى الشيـخ « شمس الـدين التـاجـر السفّـار » قال : رأت /١٢١ أ/ امرأة من جيراننا كأنه قد طلع في السماء وجـه ، ولم يزل يدنو[1] من الأرض حتى نزل على سور القلعة المنصورة ، وإذا به رجل كأحسن ما يكون ، عليه ثياب خضـر ، وهو يشـير بأكمـامه الى جـوانب القلعة ، يمينـاً ويساراً ، فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا الشيخ عبد القـادر الكيلاني ، رضي الله عنه .

ورأى شخص آخـر /١٢١ ب / انـه قـد طلع في السماء[2] هـلال من جهة القبلة والناس تنظر إليه ، وإذا بقمر قد طلع في مقـابلته واقتتـلا طويلاً ، فغلب الهلال ، وسقط ذلك القمـر ، وذهب كأن لم يكن . ثم إن ذلـك الهلال كبر ونما ، وزاد نوره وإشراقه حتى صار بدراً كامـلاً ، وانتشر نـوره على الـدنيا كلها .

ورأى شخص آخر /١٢٢ أ/ قبل وقوع هذه الحادثة بأيام يسيرة كأنه في مكان بالقرب من الرميلة ، وإذا بـالسلطان الناصـر ، نصره الله ، قـد نزل من القلعة وهو راكب على فرس وحوله طائفة من مماليكه ، فسـألت ممن هو معـه : الى أين يـذهب مولانـا السلطان ؟ فقيـل لي إلى لقـاء[3] والـده السلطان الملك

(١) في الأصل « يدنوا » .
(٢) في الأصل « السما » .
(٣) في الأصل « لقا » .

الأشرف ، /١٢٢ ب / فالتفتّ وإذا بالسلطان الملك الأشرف قد أقبل في هيئة حسنة ، وعليه تلك الهيبة العظيمة ، فلما رآه المقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله ، ترجّل عن فرسه ، فجعل الملك الأشرف يقول له : لا تفعل ، لا تفعل . ثم إنه سلّم عليه وأمره بالركوب على حجَرٍ كانت هَناك ، فقيل له : يا مولانا /١٢٣ أ / السلطان إن هذه حجر لا تُركب ، فأعاد عليهم القول ، فتبادر المقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله ، فركبها . ثم قال : إن كان وُلّي بحولك وقوّتك فسيّرها له ، فسار الحجر به والناس تنظر إليه .

وأخبرني الشيخ « شمس الدين محمد بن آقبردي » شيخ رواق الروم بالجامع الأزهر /١٢٣ ب/ قال : رأيت في منامي ان السلطان الملك الأشرف والد المقام الشريف ، سقى[1] الله عهده من سحايب الرضوان ، وأسكنه في الآخرة فسيح الجنان ، جالس على التخت ، وقد أمر بتحويل السحابة الى مقابلة باب الحوش ، فتأمّلت السحابة فإذا هي من الزرد الحديد ، ثم أمر بإحضار « قانصوه /١٢٤ أ / خمس مائة » فأوقفه بين يديه ، وألبسه لبساً كاملاً ، ثم دعا بالمقام الشريف الملك الناصر ، نصره الله ، فألبسه لبساً كاملاً ، ثم رفعه على عنق « قانصوه » . فكأن « قانصوه » تكلم بشيء ، وإذا بالمقام الشريف الملك الأشرف قد رفع صوته ، وقال : يا عبد القادر الكيلاني ، وإذا بقانصوه قد برك على الأض ونزل . هذا كله /١٢٤ ب / والمقام الشريف راكب على عنقه لم ينزل عنه .

وأخبرني الشيخ العالم الصالح « عبد اللطيف المغربي الورّاق » قال : رأيت في المنام كأني قد دخلت الى مكان فيه المقام الشريف، نصره الله ، وفي مقابلة ذلك المكان مكان آخر فيه شخص جالس وحوله جماعة ، فأمر ذلك الشخص جماعته الذين حوله أن يأتوه بالمقام الشريف ، نصره الله /١٢٥ أ / فتبادروا الى المقام الشريف ، نصره الله ، فلم يبق في ثيابه مكان إلا وقد وُضعت عليه يد . وحصل لي وجل عظيم ، وأخذتني الحميّة ، فقمت وصرت

(١) في الأصل « سقا » .

أدافعهم عن المقام الشريف ، نصره الله ، وكلما جذبت واحداً سقط ، حتى أزلت أيديهم عنه . ثم خرجت من ذلك المكان فرأيت خيولاً كثيرة ، وعساكر كهيئة[1] المقاتلة /١٢٥ ب/ وإذا بفرس أشقر عليه سرج أصفر ، واقف على باب ذلك المكان . فقلت : لمن هذه الفرس ؟ فقيل : للمقام الشريف الملك الناصر . فقلت لهم : ما يركب ؟ قالوا : نعم فوقفت أنتظر ركوبه ، وإذا به ، نصره الله ، قد خرج من ذلك المكان ، وركب ذلك الفرس ، وأحاط به ذلك العسكر ، وساروا . واستيقظت[2] من منامي .

قال جامعه : أخبرني الشيخ عبد اللطيف بهذه الرؤيا قبل حدوث هذه الحادثة بمدة تزيد على عشرة ايام بحضرة جمعٍ مُعْتَبَرِين .

وأخبرني أحد مشايخي الإمام العلاّمة ، الحبر البحر الفهامة ، الشيخ « ابو النجا المصري ثم الفوّي » ، نفع الله به وبعلومه ، قال : ركبت دابتي في أول حدوث هذه /١٢٦ ب/ الحادثة ، وإذا بشخص من الناس لا أعرفه قال لي : يا سيدي ، رأيت البارحة في منامي كأني واقف على ساحل البحر وهو في شدّة هيجانه ، وعلوّ أمواجه ، فبينما أنا أنظر إليه إذ رأيت السلطان الملك الناصر ، حفظه الله من الأسواء[3] ، ووقاه من المحن والبلوى ، في وسط ذلك البحر ، والأمواج ترفعه وتضعه ، /١٢٧ أ/ الى أن وصل الى ساحل البحر فخرج يمشي ، وإذا بطائرين كبيرين كهيئة الكركي قد نزلا من الجو ، فتسارع إليهما فقبضهما ، واستيقظت .

وأخبرني الرجل الخيّر « شمس الدين الدمشقي » قال : رأيت في منامي كأن المقام الشريف نصره الله ، جالس في مكان ، وهو يقلّب أربعين ديناراً في يده ، فجئت فوقفت بين يديه ساعة ، وإذا /١٢٧ ب/ به ، نصره الله ، قد

(١) في الأصل « كهية » .
(٢) في الأصل « استيقضت » .
(٣) في الأصل : « الأسوا » .

قام فنزع فوقانية[1] كانت عليه ، ثم أمرني أن أسير معه ، فسرنا حتى أتينا مكاناً كل سكانه يهود ، فقلت : ما يرسم مولانا السلطان ، نصره الله ، بإحضار فرسٍ يركبها ، فأمر بإحضار فرس ، فأحضر له فرساً[2] باركة ، فقلت : ان هذا الفرس ، لا يفي شيئاً ، وليس فيه نفع وليس له قوائم ، أقول هذا الكلام للذي أحضر الفرس ، فقال : /١٢٨ أ / لي ذلك الرجل : نعم ، لها قوايم مطويّة من حديد فولاذ ، ثم جاء الى الفرس وأقامها ، فإذا قد ظهرت بها قوايم من فولاذ كما قال . ووَقَفَتْ ، فركبها المقام الشريف ، نصره الله ، فمشيت به حتى غاب عني .

قال جامعه : اخبرني شمس الدين المذكور بهذه الرؤ يا قبل وقوع هذه الحادثة بمدة ، بحضرة جمع من التجار الشاميين وغيرهم . /١٢٨ ب / وأوّلت الأربعين ديناراً التي يقلّبها المقام الشريف ، نصره الله ، بأنه يقيم في السلطنة إن شاء الله تعالى أربعين سنة ، ونزع الفوقانية بهذه الواقعة ، ورؤ يا اليهود بانخذال هذه الجماعة وذلّتهم ، والفرس المباركة بالقلعة المنصورة ، والقوايم الحديد بالبأس والقوة والنصر على الأعدا .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْـزَلْنَا /١٢٩ أ / ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾[3] .

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ ٱللهُ مَنْ يَنْصُرُه ﴾[4] .

قال مؤلفه وراقم حروفه ، سامحه الله تعالى : ورأيت في منامي ، في أواخر شهر ربيع الأول سنة أثنتين[5] وتسعٍ مايه ، كأني قد دخلت الى مكان

---

(١) كان من المألوف ان ترتدي الهيئة العليا الرسمية في دولة المماليك ملابس بعلبكية من القطن بيضاء في فصل الصيف ، أما في فصل الشتاء فيلبسون معاطف فوقانية من الصوف الأبيض ، وظل هذا التقليد متبعاً حتى سنة ٧٩٩ ثم جرت العادة بعد ذلك أن يرتدي رؤ ساء ديوان القلم جبباً ملونة أي « فواقين » ومعاطف فوقية يطلق عليها « فراجي » ، (انظر : الملابس المملوكية ـ ص ٩٢) .

(٢) في الأصل « فرس » .

(٣) قرآن كريم ـ سورة الحديد ـ الآية ٢٥ .

(٤) قرآن كريم ـ سورة الحج ـ الآية ٤٠ .

(٥) في الأصل « اثنين » .

وإذا في جانبه مربّع ، فدخلت ذلك المربّع ، فرأيت فيه صُفَّةً عاليـة ، والمقام الشريف ، نصره الله ، جالس /١٢٩ ب/ على تلك الصُّفّة ، والنسا حـوله ، فـالتفت إليّ المقام الشـريف ، نصره الله . فـذكرت لـه كلمات في التحفّظ من الأعداء[١] فإن الملوك لا تـأمن من عدّو يُـدسّ عليها ، فينبغي الحـذر والتحفّظ من ذلك ما أمكن ، ومثل هذه الكلمات . فأصغى إلى ذلك المقام الشـريف ، نصـره الله : واستحسنـه ، ثم استيقـظت من منـامي . ثم عـاودت النـوم ثـانياً ، /١٣٠ أ/ فـرأيت كأني قـد دخلت الى مكان متّسـع فيه أشجـار وماء[٢] يجري ، وإذا في صدر ذلـك المكان إيـوان عال متّسـع ، وفي الجهة اليمنى منه المقام الشريف ، نصره الله ، وفي الجهة اليسرى منه « قانصوه خمس مائة » ، ووجهه الى وجه المقام الشـريف ، نصره الله ، وحوله جماعة محيطة به من : أتراك ، وفُقَها . والمقام الشريف جالس وحده / ١٣٠ ب / فقمت بين يدي المقام الشريف ، نصره الله ، وحفِظَه وتولّاه ، فسألني ، نصره الله ، هل تقدر عـلى جمـع ديـوان من كـلام الشعـرا[٣] ؟ فقلت : إن رسم المقـام الشـريف ، نـصـره الله ، جمـعـت لـه ديـوانـاً لا يقـدر احـد عـلى الإتـيـان بمثـله ، مـن كـلام « ابـن نُـبـاتـة »[٤] و « الـصـفّـي »[٥] و « الحـاجـري »[٦]

---

(١) في الأصل « الأعدا » .

(٢) في الأصل « ما » .

(٣) في الأصل « الشعرا » .

(٤) هـو الخطيب أبـو يحيى عبد الرحيم بن محمد بن اسمـاعيل بن نُبـاته الحُـذاقي الفارقي صـاحب الخـطب المشهورة ، كان إماماً في علوم الأدب ، وهو من أهل ميافارقين ، وكان خـطيب حلب وبها اجتمـع بأبي الطيب المتنبي في خدمـة سيف الدولـة الحمداني . ولـد سنة ٣٣٥ وتـوفي سنة ٣٧٤ بميـافارقـين . (انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ١٥٦/٣ ، العبر ٣٦٧/٢ ، شذرات الذهب ٨٣/٣) .

(٥) هو صفيّ الدين الحلّي ، عبد العزيز بن سـرايا بن عـلي السنبسي الطائي ، شـاعر عصـره . ولد ونشـأ في الحلّة بين الكوفة وبغداد ، وعمل تاجراً بين الشام ومصر وماردين والعراق . انقطع مدة الى ملوك الدولة الارتقية أصحاب مـاردين ، كما مـدح السلطان الملك الناصـر . وتوفي ببغـداد سنة ٧٥٠ هـ . (تـرجمته في : الـدرر الكامنـة ٣٦٩/٢ ، فوات الـوفيات ٢٧٩/١ ، النجـوم الزاهـرة ٢٣٨/١٠ وفيه تـوفي سنـة ٧٤٩ ، الذريعة الى تصـانيف الشيعة ٣٣٧/١ ، نـزهة الجليس ٢٠١/٢ ، الأعـلام ٤١/٤ ، القامـوس الاسلامي ٢٩٥/٤) .

(٦) هو : أبو يحيى وأبو الفضل عيسى بن سنجر بن بهرام الإربلي المعروف بالحاجـري الملقب حسام الـدين ، =

و« البها زهير »[١] وغيرهم . فسألني المقام الشريف ، نصره الله ، هل تحفظ / ١٣١ أ/ شيئاً[٢] من كلام « البها زهير » ؟ قلت : نعم ، قصايد كثيرة ، فأمرني ، نصره الله ، بذكر شيء من ذلك ، فأنشدته قوله من قصيدة :

لا تُنْكِروا خَفَقَانَ قلـ بي والحبيبُ لَدَيَّ حاضِرْ
ما القلبُ إلا دارةٌ ضُربتْ له فيها البشايرْ

/ ١٣١ ب / ثم التفتَّ الى « قانصوه » ومن كان معه في الحلقة العظيمة ، فلم أر لهم أثراً ، ولا عرفت لهم خبراً . وذكرت هذه الرؤيا في وقتها للأمير « تغري بردي القادري الاستادار »[٣] وقد جئته عايداً في توعّكٍ كان قد حصل له . وكان عنده « ابن عز الدين المعبّر » بالديار المصرية ، وجماعة من الفقها /١٣٢أ / والمشايخ الذين يلازمون مجلسه . وذكرت ذلك لغيره من الفقها والأمرا بالقاهرة .

ولْنَقْتَصِرْ على هذا القدر في هذا المقام . والله وليّ المثوبة والإنعام ، ففي بعض ما ذكرته أعظم دَليل على ثباته ودوامه ، وعِظَمِ شأنه ، وعُلُوّ أيامه ، نصره الله على العدا ، وخلّد مُلْكَه دايماً أبدا ، /١٣٢ ب / في دولة سَعيدة ، ونعمة جديدة ، وما زالت اعلام نُصْرَته منشورة ، وأعداؤه في كل قُطْر مشتّتة مكسورة . وما برح محسودَ النِعَم ، وعَلَمه مرفوعاً على كل عَلَم . وما زال

= جندي من أولاد الأجناد ، له ديوان شعر تغلب عليه الرقة . قتل بضربة سكين في سنة ٦٣٢ هـ . وهو منسوب الى « حاجر » بليدة بالحجاز ،لم يكن منها وإنما استعملها كثيراً في شعره فنسب اليها . وهو إربليّ الأصل والمولد والمنشأ . (ترجمته : في النجوم الزاهرة ٦/ ٢٩٠ ، وفيات الأعيان ٣/ ٥٠١ شذرات الذهب ٥/ ١٥٦) .

(١) هو : أبو الفضل زهير بن محمد بن علي بن يحيى المهلبي العتكي الملقب بهاء الدين الكاتب ، من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثراً وخطاً . اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أيوب . ولد بوادي نخلة بالقرب من مكة في سنة ٥٨١ وتوفي بمصر سنة ٦٥٦ هـ . (ترجمته في : وفيات الأعيان ٢/ ٣٣٢ ، النجوم الزاهرة ٧/ ٦٢ ، شذرات الذهب ٥/ ٢٧٦ ، حسن المحاضرة ١/ ٢٤٤) .

(٢) في الأصل « شياً » .

(٣) انظر عن في بدائع الزهور ٣/ ٣٢٠ و ٣٣٥ وقد اختفى مدة تزيد على أربع سنين في أيام الاشرف قايتباي بسبب مبلغ كبير من المال تجمّد تحت يده . وقد تولى الاستادارية عوضه الأمير أقبردي الدوادار (٣/ ٢٩٣) .

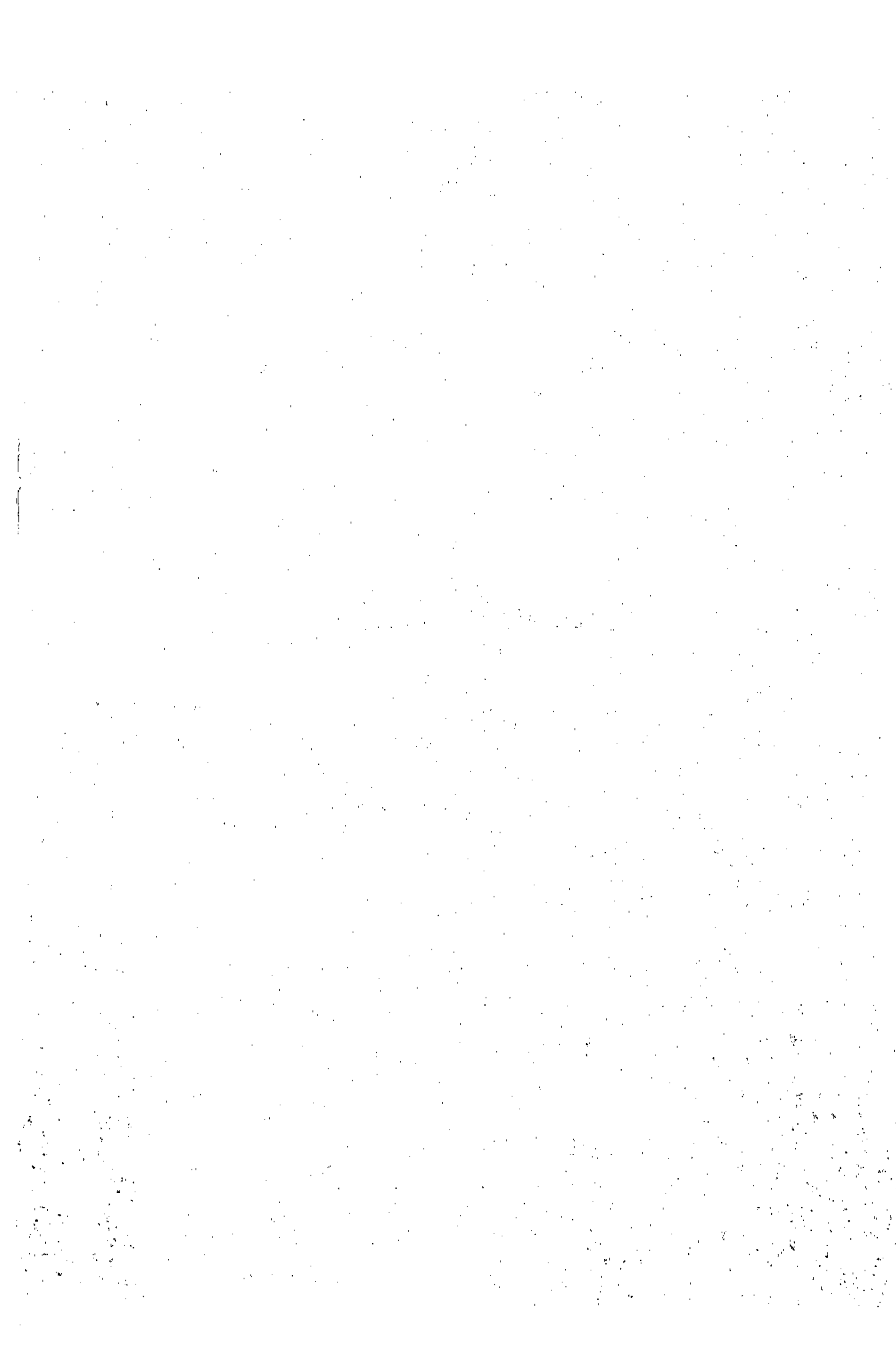
مَنْهَلاً للواردين . وملجأ للقاصدين ، وحَرَمَاً آمِناً للعالمين . مقيماً لشعاير الاسلام ، غيثاً مغيثاً للأنام . دائما على ممر الدهور والأعوام . /١٣٣ أ/ بجاه محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

« نجز الكتاب المسمىّ بالبدر الزاهر في نُصْرة السلطان الملك الناصر ، بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، نهار السبت خامس عشر جمادى الآخرة سنة (اثنتين)[١] وتسع ماية . على يد مولّفه للمقام الشريف ، نصره الله تعالى ، وخلّد ملكه ، وكبت عدّوه وخذله ، وحقق هلكه بمحمد وآله أجمعين » .

---

(١) في الأصل « له » .

تتمة الكتاب



/ ١٣٣ ب /

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمْ الله مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّـذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ ٱللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

الحمد لله مجدّد النِّعَم على المسلمين بنصر الملك الناصـر ابن السعادات ، متمّم فضله على جميع العالمين بخذلانه لـذوي / ١٣٤ أ / السيئآت[٢] ، مقـدّر المقـدور ، ومسهّل الأمـور ، ومحـرّك الحـركـات . رافـع من أحبّـه إلى أعـلى[٣] الـدرجات . وواضـع من أبغضه إلى أسفـل الدركـات . عالم الجهـر والسـر ، والذِكْر والفكر . والحركات والسكنات . مجيب الدعوات ، ومقيل العثرات ، وراحم العبرات ، وكاشف الكُرُبات ، وعالم الخفيـات. / ٣٤ ب / أحمـده بكَلمِهِ التامّات على نِعَمه العامّات . وأصلّي وأسلّم على نبيّه المنصور بالرعب من مسيرة شهر ، والمسلّم له في الغايات . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ثَبّتهم في ذروة المجد أحسن ثبات .

---

(١) قرآن كريم ـ سورة آل عمران ـ الآية ١٧٠ .

(٢) في الأصل (السيّآت » .

(٣) في الأصل « أعلا » .

وبعد ، هذه تتمة لقضية « قانصوه » المذكور ، وما أحلّ الله به من الخزي والثبور ، وذلك انه لما أنكر وهرب، في نهار الجمعة ، ومزّق الله /١٣٥ أ/ شمله ، وفرّق جمعه اختفى الى ثامن عشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة .

ثم ظهر في صبيحة نهار الثلاثاء وظهر معه في ذلك الوقت « جان بلاط » و « يشبك قمر » و « كرتباي الأحمر » وركبوا الى الأزبكية وقد اجتمع عليهم من أتباعهم المنافقين والخارجين عن الطاعة ماية فارس ، ونزل في الدوّار الذي أنشاه الأمير « أزبك » (أمير كبير)[1] . وظهر الأمراء واحداً بعد واحد ، وصاروا /١٣٥ ب / ياتون إليه ، إلّا الأمير « تاني بك الجمالي » وألبس والياً ، وطاف بالقاهرة ، ونادى مناديه بالدعا للملك الأشرف فتحيّر الناس في أمرهم ، وقُفلت القاهرة ، وأخذ المماليك السلطانية أُهْبَتَهم وَاستعَدوا للقتال ، ونُصبت المدافع والمكاحل في ساير جوانب القلعة ، ووقف الرُماة في أماكنهم ، وتفرق العسكر المنصور على أسوار القلعة وأبراجها ، ونزل منهم طايفة الى الصوّة وما /١٣٦ أ / حولها ، وحصّن الأمير « كرتباي » ابن عم المقام الشريف ، نصره الله ، باب السلسلة ، وأقام عليه الرماة والمجاهدين . ولم يتخلّف أحد عن القلعة من المماليك السلطانية والسيفية إلّا القليل ومن أراد الله له الخذلان .

وبات « قانصوه » المذكور ليلة الأربعاء في الأزبكية[2] ، وقد اجتمع إليه مّن الخارجين عن الطاعة خمس ماية نفر .

وفي صبيحة نهار الأربعا نزل من المماليك السلطانية من القلعة المنصورة /١٣٦ ب / خلق لا تُعدّ ولا تُحصى حتى ملأوا[3] الفضا مُشاةً على أقدامهم مستعدّين بالسلاح الكامل وقصدوا الأزبكية فاحاطوا بها ، ورموا على

---

(١) كُتبتا بالهامش .

(٢) أرض خراب أقطعها السلطان قايتباي لأزبك من ططخ المتوفى سنة ٩٠٤ هـ . وكان بنى فيها داره وحواصله (النجوم ١٦/٣٨٣ ملحوظة رقم ٢) .

(٣) في الأصل « ملاءوا » .

« قانصوه » المذكور ومن معه بالسهام . وكان قد عوّل على الإقامة بالأزبكية ليستميل قلوب الجند إليه ﴿ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ﴾(١) . فخرجوا على حميّة من باب سر الدوّار المذكور هاربين لا يلتفت احد منهم الى ورائه ، وقصدوا البر . وأطلقت /١٣٧ أ / النار في الدوّار المذكور .

وأُعلم المقام الشريف ، نصره الله ، بهربه من المكان المذكور على الوجه المشروح ، فبرزت مراسيمه الشريفة ، نصره الله ، بالركوب إليه ، ولحاقه الى الريدانية(٢) ، فوثب المماليك السلطانية على خيولهم ، وقصدوه من كل طريق ، فلم يعلموا أين توجّه .

وقُبض على الأمير « أزبك الخازندار » أحد المقدّمين ، وهو المعروف بأزبك فستق في ذلك اليوم .

وجلس الأمير « تاني بك قرا » والأمير /١٣٧ ب / « جانم » والأمير « قرقماس (الحلبي) »(٣) بباب المدرج ،وبقية الأمراء السلطانية ، نصرهم الله تعالى ، منهم من ركب مع المماليك السلطانية في طلب « قانصوه » المذكور ، ومنهم من وقف في مكانه الذي عيّنه فيه المقام الشريف ، نصره الله .

وأما الأمير كبير « تمراز » عظّم الله تعالى شأنه ، فإنه ملازم الإقامة مع المقام الشريف ، نصره الله ، وفي جامع الحوش الشريف . وقد تلا لسان الحال قوله تعالى : « فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ /١٣٨ أ/ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ »(٤) .

---

(١) قرآن كريم ـ سورة الأحزاب ـ الآية ٢٦ .

(٢) اسم يُطلق على بستان كبير أنشأه « ريدان الصقلبي » أحد خدّام العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله ، الذي قتله الحاكم بأمر الله في سنة ٣٩٣ هـ . والبستان كان يقع في حدود الصحراء الواقعة في شمال القاهرة . وكان العمار ينتهي إليه ولذا أُطلق اسم الريدانية على البستان وعلى ما يجاوره من الأراضي الرملية الفضاء التي كانت تمتد في ذلك الوقت مابين المكان الذي يقع بين حيّ الحسينية ومصر الجديدة .
(انظر : النجوم الزاهرة ١٠/٧ ملحوظة رقم ٥) .

(٣) كتبت بين السطور .

(٤) قرآن كريم ـ سورة الصف ـ الآية ١٤ .

وأنشد عن ذلك متمثّلاً بقول الشاعر .

قضى الله أن البغيَ يصْرَعُ أهلَه   وأنَّ على الباغي تَدُورُ الدَوَايرُ

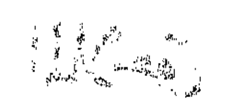
والله تعالى يؤيّد مولانا السلطان الملك الناصر بنصره على العدا ، ويخلّد على المسلمين دايماً أبداً ، إن شاء الله تعالى .

والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* * *

الملاحق

- فتنة قانصوه كما وردت عند ابن إياس
- فتنة قانصوه كما وردت عند ابن طولون
- ترجمة السلطان الناصر محمد
- ترجمة الأمير قانصوه .



ملحق رقم (١)

نص أحداث فتنة الأمير « قانصوه »

في

« بدائع الزهور في وقائع الدهور »

ابن إياس ـ ج ٣/ ٣٤١ ـ ٣٥٤

« في جمادى الأولى [سنة ٩٠٢ هـ .] نزل السلطان من القلعة ، وتوجّه إلى قبّة يشبك التي في المطرية وبات بها ، ثم طلع إلى القلعة ، وشقّ من القاهرة ، وزُيّنت له ، وكان يوماً مشهوداً . وفيه تزايدت الإشاعات بوقوع فتنة كبيرة ، ووزّعوا الناس أمتعتهم من الدُور ، فلما كـثُر الكلام في ذلك أحضر السلطان المصحف العثماني وطلع به إلى القلعة ، وحلّف عليه سائر الأمراء والجند ، بأن يكونوا كلمة واحدة ، ويكونوا عباد الله إخواناً ، وأن الأمراء الذين هم من عصبة آقبردي الدوادار يظهرون ويكونون هم وإيّاهم شيئاً واحداً ، فوافق الأتابكي قانصوه على ذلك ، وكذلك كرتباي الأحمر وبقية الأمراء .

فلما جرى ذلك نادى السلطان في القاهرة ، بأن الغُيّاب الذين من عصبة آقبردي الدوادار يظهرون ولهم الأمان من الأمراء والسلطان ، فعند ذلك ظهر شاد بك أخوخ الذي كان أمير آخور كبير ، وأينال الخسيف الذي كان حاجب الحجّاب ، وقاتم قريب السلطان أحد المقدّمين كان ، وخانم المغروف بمصبغة ، فلما ظهروا طلعوا إلى القلعة ، فأخلع عليهم السلطان كوامل بصمّور ، وذلك في يوم الثلاثاء سابع عشرين هذا الشهر ، ثم رسم لهم السلطان بأن يتوجّهوا الى دار الأتابكي قانصوه التي بقناطر السباع ، ويقبّلوا

يده ، فتوجّهوا الى هناك وقبّلوا يد الأتابكي قانصوه خمسمائة ، ورجعوا إلى بيوتهم .

فلما كان آخر النهار من ذلك اليوم أرسل الأتابكي قانصوه خلفهم ، وزعم أنه يضيّفهم ويمدّ لهم مَدّة ، فحضر إليه شاد بك أخوخ ، وأينال الخسيف ، وقانم قريب السلطان ، ولم يحضر صحبهم جانم مصبغة ، وكان صاحب رأي ، فلما اجتمعوا عند الأتابكي قانصوه طاولهم بالكلام ، ثم أحضر لهم سفرة الشراب فشربوا ، ولم يجلس معهم شاد بك ، ثم فتحوا بينهم باب العتاب ، واستمروا على ذلك حتى نصف الليل ، فلم يشعروا إلّا وقد دخل عليهم مصرباي الثور والي القاهرة ، فقبض على الثلاثة وتوجّه بهم نحو الجزيرة الوسطى ، فقيل إنهم غُرِّقوا هناك ، وكان آخر العهد بهم ، وقد قيل في المعنى :

لما رأيت الغدر منهم بدا والبغض من أعينهم لي يلوح
فقلت للقلب ارتجع عنهم ما قصْدهم منك سوى أخذ روح

فلما كان يوم الثلاثاء ليلة الأربعاء ثامن عشرينه صلّى الأتابكي قانصوه العشاء ، وركب بمن معه من الأمراء والعسكر ، فهجم وملك باب السلسلة وكان خشداشه قانصوه الألفي أمير آخور كبير ، فما أحوجه يدقّ باب ولا ينتظر الجواب . فلما كان يوم الأربعاء صبيحة تلك الليلة جلس الأتابكي قانصوه خمسمائة في الحرّاقة التي بباب السلسلة ، وأرسل خلف أمير المؤمنين المتوكل على الله عبد العزيز ، فحضر ، وحضر القضاة الأربعة ، واجتمع عنده أربعة عشر مقدّم ألف ، والعسكر قاطبة ، من أمير وجندي .

فلما تكامل المجلس مشوا مع الخليفة في خلع الملك الناصر وسلطنة قانصوه خمسمائة ، فخلع الناصر من السلطنة بصورة شرعية ، وكتب بذلك صفة محضر ، وشهد فيه جماعة كثيرة ، وبويع قانصوه خمسمائة بالسلطنة ، وتلقّب بالأشرف أبي النصر ، على لقب أستاذه الأشرف قايتباي ، فلما تمّت مبايعته قبّل له الأمراءُ الأرض والعسكرُ قاطبة ، ونودي باسمه في القاهرة ،

وارتفعت له الأصوات بالدعاء من الخاص والعامّ ، وأخلع على شخص يقال له جانم أخو قانصوه الألفي ، وقرّره في ولاية القاهرة ، وكان قانصوه خمسمائة محبَّباً للناس قاطبة بخلاف آقبردي الدوادار ، فلما لم يبق سوى أن يفيض عليه شعار الملك ، ويركب فرس النوبة ، وتُحمل على رأسه القبة والطير ، ويصعد الى القصر ويجلس على سرير الملك ، فوقع من بعد ذلك العجائب والغرائب ، كما يقال :

ستقضي لنا الأيام غير الذي غدت ويحدث من بعد الأمور أمور

ثم إن قانصوه خمسمائة بعث بعض الأمراء الى القلعة ، بأن يقبض على الملك الناصر ، ويدخله الى قاعة البحرة ، ويأخذ منه الترس والنمجاة ، فتعصّب له جماعة من مماليك أبيه كانوا بالقلعة ، نحو من ألف مملوك ، وكان رأس الجلبان قانصوه خال الملك الناصر ، فمنعوه من دخول قاعة البحرة ومن إعطائه الترس والنمجاة ، ولم يكن عند الناصر من الأمراء أحد ، فقام خاله قانصوه في محاربة قانصوه خمسمائة أشدّ القيام ، وقاتل هو والجلبان قتال الموت ، فملكوا في ذلك اليوم رأس الصوّة وسلم المدرج والطبلخاناه ، وعمد قانصوه خال السلطان الى الزردخانة وأخرج ما بها من زرديات وخوذ وقسيّ ونشّاب ، ففرّقها على المماليك الجلبان .

وكان البدري حسن بن الطولوني بايتاً بالقلعة ، فأحضر النجّارين والحجّارين ، فعملوا أشياء كثيرة من الطوارق والمدافع ، وكان عند الملك الناصر عدّة وافرة من العبيد ، ما بين نفطية ورُماة بالبندق الرصاص ، فحاصروا قانصوه خمسمائة وهو بباب السلسلة اشدّ المحاصرة ، ثم إن كرتباي الأحمر توجّه خلف القلعة ، ونصب مكحلة على الجبل المقطم تجاه القلعة ، وأرمى بها على الحوش السلطاني ، فلم يفد من ذلك شيء ، ثم إن قانصوه خمسمائة نادى في القاهرة بأن أولاد الناس النفطية يطلعون الى باب السلسلة ، ويباتون بها ، فلم يطلع إليه أحد منهم ، فاستمر قانصوه خمسمائة في المحاصرة، وهو مقيم بباب السلسلة ، والأمراء عنده والخليفة والأربعة قضاة ، فاستمر على ذلك يوم الأربعاء والخميس .

فلما كان يوم الجمعة مستهلّ جمادى الآخرة وقع في ذلك اليوم واقعة مهولة ، وقت صلاة الجمعة ، فلما رأى قانصوه خمسمائة عين الغلب ركب وخرج من باب السلسلة ، وكذلك جماعة الأمراء المقدّمين ، الذين كانوا عنده ، فلما خرج قانصوه من باب السلسلة وقف عند سبيل المؤمني ، فحرّر عليه بعض الرُماة بكفيّة ، وقيل بسهم نشّاب ، فجاء في وجهه ، فسقط عن فرسه الى الأرض وقد أغمي عليه وغاب عن الوجود ، فحملوه الغلمان على أكتافهم ، وبقي لباسه بدكّته بايناً للناس ، ورأسه مكشوفة ، عليها زمط أقرع ، فنزلوا به من الصليبة وهو على هذه الهيئة ، فلما وصلوا به الى المدرسة الجاولية أركبوه على حمار ، وهو مغمى عليه لا يدري بما جرى له ، فلما وصلوا به الى درب الشمسي اختفى في مكان هناك ، وكانت هذه الواقعة من أعجب الوقائع وأغربها ، كما يقال :

وبين اختلاف الليل والصبح معرك   يكرّ علينا جيشه بالعجائب

فلما انكسر قانصوه خمسمائة ،وخرج من باب السلسلة على أنحس حالة ، نزل المماليك الجلبان من القلعة الى باب السلسلة ، ونهبوا كلما كان فيه من سلاح وقماش وغير ذلك ، ونهبوا طستخانات الأمراء والخليفة ، وخطفوا عمائم القضاة ونوّابهم ، وما سلم الخليفة والقضاة من القتل إلّا سلامة ، وقتل من هذه الحركة جماعة من الجند ، وقتل شخص من الأمراء العشرات يقال له كمشبغا ، وكانت هذه النصرة للملك الناصر على قانصوه خمسمائة على غير القياس ، بعد أن ملك باب السلسلة ، وبايعه الخليفة ، ويلقّب بالأشرف ، واجتمع عنده سائر الأمراء المقدّمين ، من الظاهرية والقايتبيهيّة ، وسائر العسكر من كبير وصغير ، وقبّلوا له الأرض قاطبة ، فأورثه الله تعالى الخذلان ، وانتصر عليه الملك الناصر ، وكان قد ا ستخفّ به ، فكان كما يقال في المعنى :

ولا تحقرنّ صغيراً رماك   وإن كان في ساعديه قِصَر
فإن السيوف تحزّ الرقاب   وتعجز عما تنال الإبر

وقال آخر :

ولا تحتقر كيد الصغير فربما   تموت الأفاعي من سموم العقارب

وقيل :

لا تحقرنّ صغيراً في مخاصمة   إن الذبابة تُدمي مُقْلة الأسد

. . . فلما كان يوم الثلاثاء ثامن عشر جمادى الآخرة ظهر الأشرف قانصوه خمسمائة من مكان في درب المرسينة ، التي عند قناطر السباع ، وكان قد أشيع بأنه قد جُرح في وجهه من حين انهزم من الرميلة ، فلما ظهر تسامع به من كان من عصبته فأتوا إليه أفواجاً أفواجاً ، فركب من هناك وعلى رأسه صنجق ، فتوجّه الى الميدان الناصري الذي عند البركة ، فلما تسامع به العسكر حضر الى عنده جماعة من الأمراء ممن كان من عصبته واختفى يوم الهزيمة ، فحضر قانصوه الألفي ، وجان بلاط الدوادار ، وكرتباي الأحمر ، ومامِاي من خداد ، وكسباي ، ويشبك قمر ، فهؤلاء مقدّمين ألوف ، وحضر من الأمراء العشرات جماعة كثيرة .

فلما تكاثر هناك العسكر ضاق بهم الميدان ، فحسن ببال قانصوه خمسمائة بأن يأخذ العسكر ويتوجّه الى الأزبكية ، فتوجّه الى هناك ونزل بدار الأتابكي أزبك ، فلم يحضر إليه من العسكر إلا قليلاً ، وقد تلاشى أمره ، وبان عليه الخذلان ، وهو لا ينتهي عما هو فيه . . فبات تلك الليلة هناك في الأزبكية ، فلما أصبح يوم الأربعاء تسحّب غالب من كان عنده من العسكر ، ولم يبق منه الا القليل ، فبلغه أن المماليك الجلبان نازلة من الطباق وهم مشاة ، وقد وصلوا الى رأس البندقانيين ، فلما تحقق ذلك طلب الفَرَس وركب هو ومن كان عنده من الأمراء ، . . فخرجوا من الأزبكية بعد طلوع الشمس ، وهم على جرايد الخيل ، فتوجّهوا الى نحو خانقاه سرياقوس وكان آخر العهد بهم . .

. . ثم جاءت الأخبار بأن قانصوه خمسمائة لما خرج من الأزبكية قصد التوجّه الى غزة ليقتل آقبردي الدوادار ، ولكن فاته الشنب ، وكان مقيماً عند

آقباي نائب غزة ، وكان السلطان أرسل خلفه ليحضر الى القاهرة ، وكان يظن أن الـوقت قد صفـا له بكسـرة قانصـوه خمسمائـة ، فقصد التـوجّه الى الـديار المصرية ، فلما خرج في غزة ووصل الى خان يونس الذي هناك ، فلم يشعر إلاّ وقد دهمته عساكر قانصوه خمسمائة ، ولم يكن عنـده علم من ذلك ، فـأحاطـوا بـه ، فكان بينهـما واقعة مهـولة ، فـانكسر آقبـردي الـدوادار ودخـل الى خـان يـونس ، وأغلق عليه البـاب ، فحاصـره قانصـوه خمسمائـة أشد المحـاصـرة ، وأحرق باب الخان ، وأشرف على أن يظفر به .

فلما رأى آقبـردي عين الغلب طلب من قـانصوه خمسمـائة الأمـان ، فلم يعطه الأمان ، فبينـما هما عـلى ذلك وقـد قرُب غـروب الشمس ، وإذا بآقبـاي نـائب غزة ، وأينـال باي نـائب طرابلس ، وشيـخ العرب ابـراهيم بن نبيعة ، ومعهم جماعة ، والعربان والعشـير ، أتوا ليتـوجّهوا مـع آقبردي الى القـاهرة ، فوجدوه في المحاصرة وهو في خان يونس ، فكان بينهـما واقعة لم يُسمـع بمثلها ، فلما حال بينهما الليل انكسر قانصوه خمسمائة ومن معـه من الأمراء والعسكـر ، وهذه رابع كسرة وقعت لقانصـوه خمسمائـة . . فكان أول من أُسـر من الأمراء مـاماي من خـداد ، فحُزَّت رأسـه بين يـدي آقبردي ، ثم حُـزَّت رأس فيروز الزمّام ، وحُزّت رأس سودون الدوادار ، وأما قانصوه خمسمائة فمن الناس من يقـول ان رأسه قـد حُزّت بـين يدي آقبـردي ، وأخذ منـه الهيـاكـل التي كـان حاملها ، ومن الناس من يقول انه لما انكسر وحال بينهما الليل ركب عـلى فرس وكان مجروحاً ، فنجا بنفسه ، ولم يُعلم له خبر ، والأصحّ انه قُتل وحُزّت رأسه بين يدي آقبردي ، ودخلت رأسه الى القـاهرة عـلى رمح ، وصـار الناس بعـد ذلـك يشكّون في قتله الى الآن . ويـزعمون انـه باقٍ في قيـد الحيـاة الى الآن ، وهذا من الأمور المستحيلة ، وقد قضي الأمر في قتله . . » .

ملحق رقم (٢)

نص أحداث فتنة الأمير « قانصوه »

في

« مفاكهة الخلّان في حوادث الزمان »

ابن طولون ـ ق ١/ ١٧٢ .

. . . وفي يوم الثلاثاء حادي عشر جمادى الآخرة منها [سنة ٩٠٢ هـ .] ورد مرسوم سلطاني ، مضمونه : انه في يوم الجمعة خامس جمادى الآخرة حصل بالرميلة وقعة بين جماعة السلطان وجماعة قانصوه خمسمائة وتاني بك الجمالي ، وحصل لقانصوه بندقة وجُرح تاني بك ، ثم ولّى الاثنان وولّى أحد عشر أميراً معهما ، ولم يُعلم خبر قانصوه ، هل مات أم لا ، وطُلب فيه من نائب الشام بأن يبعث له جميع المماليك المنفيّة سرعة ، وأن يبعث وراء الدوادار آقبردي الهارب ، فحصل لآقبردي السعد حينئذ ، وما أظن يسلم له ذلك لكثرة مبغضيه ومُحبّي قانصوه .

وفي ثا . . . عشرينه شاع بدمشق أن قانصوه خمسمائة كان تسلطن ستة أيام بباب السلسلة ، ولُقّب بالملك الأشرف ، ثم طُرد بعد أن أصابته بندقة ، وأن الدوادار آقبردي رجع من البلاد الشمالية ووصل الى غزّة ، وأن قانصوه المذكور كبسه بغتة بأرض الزعقاء ، ثم حصره بخان يونس ، وقُتل من الفريقين خلق كثير .

ثم استهلّ رجب بالأحد ، وفيه تواترت الأخبار بدمشق بأن قانصوه خمسمائة انكسر ورجع مختفياً ولم يبق معه أحد ، وقيل قُتل ، ثم سار آقبردي الى مصر منصوراً » .

ملحق رقم (٣)

ترجمة السلطان الناصر محمد بن قايتباي
عن « بدائع الزهور ـ ج ٣/ ٤٠٣ »

« . . كان الملك الناصر حسن الشكل ، أبيض اللون ، عربي الوجه ، نحيف الجسد ، معتدل القامة ، قُتل وله من العمر نحو من سبع عشرة سنة ، وكان مولده سنة سبع وثمانين وثمانمائة ، وكان يوصف بالكرم الزائد والشجاعة ، لكنه كان جاهلاً عسوفاً ، جريء اليد ، سفّاكاً للدماء سيءّ التدبير ، كثير العشرة للأوباش من أطراف الناس ، ووقع منه أمور شنيعة في مدّة سلطنته لا ينبغي شرحها ، وسار في المملكة أقبح سيرة ، ولم يقع من أبناء الملوك من السواقط ما وقع منه في سائر أفعاله ، حتى جاوز في ذلك الحد ، وكان ضعيف الخط جداً في العلامة ، وليس له من المحاسن الا القليل ، وفيه أقول :

سلطاننا الناصر المفدّى   أخباره نقلُها صحيح
يا لجهل أضحى قبيح فعْلٍ   فلم يُفِد شكلهُ المليحُ

وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية نحواً من سنتين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً ، وكانت أيامه كلها فتن وشرور وحروب قائمة » .

ملحق رقم (٤)
ترجمة الأمير « قانصوه خمسمائة »
عن « بدائع الزهور - ج ٣/ ٣٥٤ »

« كان قانصوه خمسمائة أميراً جليلاً موصوفاً بالشجاعة ، وافر العقل كثير الأدب والحشمة ، ويقال إن أصله من كتابية الظاهر خشقدم ، واشتراه الأشرف قايتباي وأعتقه ، فهو من معاتيقه ، وتولّى من الوظائف : الدوادارية الثانية ، وأمير آخورية الكبرى ، ثم بقي أتابك العساكر بمصر ، ثم تسلطن وتلقّب بالأشرف ، وأقام في السلطنة ثلاثة أيام ، وخرب بسببه عدّة دُور ، وقُتلت جماعة كثيرة من الأمراء ، وكان قانصوه خمسمائة قليل الحظ ، ليس له سعد في حركاته ، وقُتل وهو في عشر الخمسين ، فلما عرضوا تلك الرؤوس على الملك الناصر ، شكّ اكثر الناس بأن هذه ليس برأس قانصوه خمسمائة ، واستمّروا على ذلك الى الآن » .



الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأنساب .
- فهرس الشعوب والأمم والطوائف .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- فهرس المصطلحات والألقاب.
- فهرس التعريف ببعض المصطلحات والألقاب .
- فهرس المصادر والمراجع .
- الفهرس العام .

فهرس الآيات القرآنية

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ الله هُوَ ٱلَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ٧٣

﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ ٨٦

﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، فَٱنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ . إِنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ . فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ، إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . وَأَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ . ٨٦

﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ ، لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلاً ، وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَارِثِينَ ﴾ ٨٦

﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ ٨٦

﴿ ذٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ ٨٦

﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱلله ﴾ ١٠٤

﴿ وَأَرَادُوا بِهِ كيداً فَجعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ ﴾ ١٠٤

﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ ٱلأَسْفَلِينَ ﴾ ١٠٤

﴿ وَأَنْزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ ﴾ ١٠٨

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ ٱلله مَنْ يَنْصُرُهُ ﴾ ١٠٨

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ ٱلله مِنْ فَضْلِهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ ٱلله وَفَضْلٍ ، وَأَنَّ ٱلله لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . ١١٣

﴿ فَأَتَاهُمُ ٱلله مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهُمُ ٱلرُّعْبَ ﴾ . ١١٥

﴿ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ ١١٥

فهرس الأشعار

الصفحة

لقد طال هذا الليل حتى حسِبْته
مقيماً فيما يُرجى له بصباح ٧٧

يا ليل طُلت فما ظلامُك ينقضي
وكأنّ صبحك أعرجُ لم ينهض ٧٧
خليليَّ ما بال الدُّجى ليس يبرحُ
وما لعَمُود الصُبْح لا يتوضّحُ

وليلٍ كموج البحر أرخى سُدُوله
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي ٨٠
ليلتي هذه كعشر ليالٍ
مظلمات وما بها من هلالِ ٨٠
فجيش البغي مغلول
ووالي الغدر معزول ٨٥
صُبَّت عليه مصايبٌ لو أنّها
صُبَّت على الأيام عُدْن لياليا ٨٦

وفتية فتكوا في الناس أزمِنة
كأنّما هادم اللّذات آمَنَهُم ٨٦
فأبو السعادات الذي
قد قام حرب قتاله ٨٧
لا تنكروا خفقان قلبي
والحبيب لديّ حاضر ١١٠
لما رأيت الغدر منهم بدا
والبُغض من أعينهم لي يلوح ١٢٠
ولا تحقِرنّ صغيراً رماك
وإنْ كان في ساعديه قِصَر ١٢٢

فهرس الأعلام

فهرس الأنساب

فهرس الشعوب والأمم والطوائف

فهرس الأماكن والبلدان

ت

ث

ج

ح

فهرس المصطلحات والألقاب

فهرس التعريف

ببعض المصطلحات والألقاب

الأتابك :

أنظر الشرح ـ ص ٤٦ ، حاشية(٢) .

الأخبازا :

جمع خبز : قطعة من الأرض « مُنحت إلى أمير أو إلى أيّ شخص من المجنَّدين ، ويستغلّ حاصلها في سبيل عيشه . (تكملة المعاجم العربية ـ دوزي) .

الأدْراك :

جمع دَرَك : العُسُس والخُفَراء ، وهم يُعدّون طبقة خاصّة

الأستادار :

أنظر الشرج ـ ص ٣٦ ، حاشية (٩) .

أستاذ :

معلّم ، لقب يُطلق على السيد الذي اشترى المملوك بالمال وتعهّده بالتربية حتى كبر وأعتقه . (العصر المماليكي ـ ص ٣٨٩) .

الإسطبل = الإصطبل :

مجموعه من المباني يبنيها الأمير لسكنه وسكن أسرته ومماليكه وخيوله . (العصر المماليكي ٣٩١) .

الإسوار = الأساورة :

أنظر الشرح ـ ص ٩٥ ، حاشية(٢) .

الأغَوات :

أنظر الشرح ـ ص ٧٩ ، حاشية(٦) .

أمراء الطبلخاناه :

أنظر : صبح الأعشى ـ ج ٤/١٥ .

أمراء العشرات :

أنظر : صبح الأعشى ـ ج ٤/١٥ .

أمراء القايتبيهيّة :

هم الأمراء المنسوبون إلى السلطان قايتباي .

أمير آخور :

أنظر الشرح ـ ص ٣٥ ، حاشية (٢)

أمير سلاح :

أنظر : صبح الأعشى ـ ج ٤/١٨ .

أمير عَلَم :

هو الذي يتولّى أمر الأعلام والسناجق والرايات السلطانية ، ويشترط فيه الدراية بنوع الأعلام اللازمة لكل موكب من المواكب السلطانية . (صبح الأعشى ٤/٨ ، و٥/٤٥٦ ، ٤٥٨ . العصر المماليكي) .

أمير مجلس :

هو المتولّي على أمر مجلس السلطان أو الأمير ، ويتحدّث على الأطباء

والكحّالين ومن شاكلهم ، (صبح الأعشى ٤/١٨ و٥/٤٥٥) .

أمير مقدَّم ألف :

أعلى مراتب الأمراء في عصر المماليك ، وهي خاصّة بأرباب السيوف ، ويكون في خدمة صاحبها مائة مملوك ، وله التقدمة على ألف فارس ممن دونه من الأمراء . (صبح الأعشى ٤/١٤ ، السلوك ١/٢٣٩ ، حاشية ١ ، العصر المماليكي ٣٩٣) .

إنْي :

أنظر الشرح ـ ص ٧٩ ، حاشية(٥)

البردار :

هو الذي يكون في خدمة مباشري الديوان في الجملة ، متحدّثاً على أعوانه والمتصرّفين فيه . (صبح الأعشى ٥/٤٦٨) .

البَرْك :

أنظر الشرح ـ ص ٤٠ ، حاشية (٤) .

البَقْسَماط :

خبز يابس معروف (biscuit) (الألفاظ الفارسية ـ ص ٢٥) .

بُنْدُق :

كُرات تُصنع من الطين أو الحجارة أو الرصاص ، تُرمى بالأقواس ، أو تُرمى بالمزاريق والأنابيب عن طريق ضغط الهواء من مؤخر الأنبوب . والبندقانيون هم صُنّاع البندق . (تاريخ التمدّن الإسلامي ـ زيدان ـ ج ٥/١٥٣ ، العصر المماليكي ٣٩٨) .

البيمارستان :

كلمة فارسية مركّبة مكوّنة من « بيمار » بمعنى مريض ، و « ستان » بمعنى مكان أو محلّ ، وتقابل كلمة مستشفى . وترد مختَصَرَة فيقال

« مارستان » . (الألفاظ الفارسية المعرّبة ـ ص ٣٣) .

التجريدة :

جمعها : جرائد ، وهي الكتيبة من الفرسان ليس فيها راجل . (تكملة المعاجم العربية ـ دوزي ـ ج ٢ / ١٧٦ و ١٨١ و ١٨٢ ، لسان العرب) .

تخت المملكة :

سرير الملك . (أنظر : صبح الأعشى ٤ / ٦) .

التخفيفة :

هي العمامة الصغيرة . (الملابس المملوكية ـ ص ٣١) .

الترسيم :

الأمر الذي يصدر من الجهة المختصّة لعقوبة شخص بوضعه تحت المراقبة . (السلوك ـ ج ١ / ٧٤٠ حاشية(٥)).

التشريف :

الخلعة أو الملابس المهداة من السلطان إلى كبار الأمراء في مناسبات خاصة ، أهمها التعيين في الوظائف الكبرى كالنيابات ، وغيرها . (العصر المماليكي ٤٠١) .

التقاليد :

مفردها : تقليد ، وهو المرسوم الموقّع من السلطان لتعيين شخص في وظيفة كبيرة . (العصر المماليكي ـ ص ٤٠٢) .

الجامكية :

جمعها : جوامك . وهي الراتب أو الأجرة المربوطة للوظيفة . (تكملة المعاجم العربية ـ دوزي ٢ / ١٢٧) .

حاجب الحجّاب :

وظيفته « الحجوبية الكبرى » وهو يقوم بالنظر في مخاصمات الأجناد

وإختلافهم في أمور الإقطاعات ونحو ذلك . (المواعظ والإعتبار - ج ٢/٢١٩) .

الحرافيش :

مفردها ، حرفوش . أي الرعاع والدهماء وضعاف الخلق . ومنهم « الأوباش » (أنظر الفصل الممتع عن الحِرافيش في : « حكايات الشطار والعيّارين في التراث العربي » - د . محمد رجب النجار - ص ١٧٨ وما بعدها) .

الخازندار :

أنظر الشرح - ص ٧٠ ، حاشية(١) .

الخاصكيّة :

أنظر الشرح - ص ٤٠ ، حاشية(٣) .

الخان :

فارسي بحْت ، وهو الحانوت . (معجم الألفاظ الفارسية - ص ٥٨) ويعني في عصر المماليك الوكالة أو الفندق المُعَدّ لاستقبال التجار وبضائعهم ودوابّهم ، وغيرهم من المسافرين والحجاج .

الخانقاه :

جمعها : خوانق وخانقاوات . بيت ينقطع فيه الصوفية للعبادة والذكر ، وقد يُتَّخَذ للمرابطة .

الخجداش والخشداش والخواجا تاش والخوشبوش :

أنظر الشرح - ص ٧٩ ، حاشية(٥) .

الدبابيس :

مفردها دبّوس . آلة من آلات الحرب تشبه الإبرة ، كانت تُصْنع من عود طوله نحو قدمين من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من حديد قطرها

ثلاث بوصات تقريباً . (تكملة المعاجم العربية - ج ٤ /٢٨٩) .

الدَّرْج (بفتح الدال المشدّدة وتسكين الراء) :

جمعه : دُرُوج . وهو الورق الخاص بالدواوين ، مستطيل مركّب من عدّة أوصال . (صبح الأعشى ١/١٣٨) .

الدَّسْت (بفتح الدال المشدّدة وتسكين السين) :

كلمة فارسية بمعنى المحلّ المخصّص للسيد الكبير في صدر المجلس . ويُقصد به هنا كرسي الحكم . (صبح الأعشى ١/١٣٧) .

الدّكّة :

التّكّة . هي الإبزيم أو الرباط الذي يعقل السروال . وتُصنع في الغالب من الحرير (Dozy- p. 95) .

الدوادار :

صاحب الدَّواة وحاملها للسلطان أو الأمير . وهو يقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى إليه . (صبح الأعشى ٥/٤٦٢) .

الديوان الخاصّ :

هو الديوان السلطاني الخاصّ بالنظر في أموال السلطان والتحدّث في جهاته ومضافاته . (صبح الأعشى ٣/٤٥٦) .

رأس نوبة النوّاب :

أنظر : صبح الأعشى - ج ٤/١٨ .

الرّكاب خاناه :

بيت الركاب الذي تكون به السروج واللجم وغيرها من معدّات ركوب الخيل . (صبح الأعشى ٤/١٢) .

الزَّرَدْخاناه :

بيت الزَّرَد ، أي بيت السلاح ، وبها من السيوف والقسيّ العربية

والنشاب والرماح والدروع المتَّخذَة من الزَّرد المانع . (صبح الأعشى ٤/ ١١ و ١٢) .

الزَّرْدكاش :

الصانع الذي يعمل في السلاح خاناه صناعة وإصلاحاً وتجديداً . (صبح الأعشى - ج ٤/ ١٢).

الزُّعْر :

أنظر : حكايات الشطّار والعيّارين - ص ١٧٨ .

الزّمط :

أنظر الشرح - ص ٨٥ ، حاشية[٣] .

السهام الخطائية :

أنظر الشرح - ص ٧٣ ، حاشية[٢] ويحتمل أن « الخطائية » منسوبة إلى « الخِطا » وهم جيل التُرك القريبين من بلاد الصين ، والخطائية من جملة المماليك المشتروات ، فقد ورد أن الملك الصالح نجم الدين أيوب أقبل على شراء المماليك الترك والخطائية . (النجوم الزاهرة ٦/ ٣٢٠ ، إعلام الورى - ابن طولون - ص ٦٠ ، حاشية[٢]) .

شادّ :

أو مشدّ : مفتّش على الدواوين . (السلوك - ج ١/ ١٠٥ ، حاشية[٢]) .

الشراب خاناه :

بيت الشراب ، ويحتوي أنواع الأشربة . بما فيها الدواء مما يحتاجه السلطان ، فضلاً عن الأواني النفيسة المصنوعة من الصيني الفاخر . (نهاية الأرب - النويري - ج ٨/ ٢٢٤ ، صبح الأعشى ٤/ ١٠) .

الشُّلاّق :

الزُّعْر والرعاع الذين يضايقون الناس في الطرقات ويدخلون الخوف في قلوبهم ، والشلق : الضرب بالسوط . (السلوك - ج١/ ٦٠٥ ، حاشية ١) .

الصُّفَّـة :

المَسْطَبَة ، والأريكة ، والمَقعد .

صَمُّور = سمُّـور :

نسبـة إلى السمّور ، وهـو حيوان ثمـين يُستعمل فَـرْوُه لتحليـة المـلابس الفاخرة .

صنجق = سنجق :

جمعها سناجق ، وهي رايات صُفْر صِغـار تُرْبَط بـطرف الرمـاح ويحملها السنجقـدار . (صبح الأعشى ٤/٨ و ٥/٤٥٦ - ٤٥٨) وانـظر الشرح - ص ٣٨ ، حاشية[٣] .

طِبـاق :

مفردها : طبقة ، وهي ثكنات المماليك بقلعة جبل المقطّم ، وكانت كل طبقـة تضم الممـاليـك المجلوبـين من بلد واحـد . (المـواعظ والاعتبـار - ج ٢/٢١٣ و ٢١٤) .

الـطَبَر :

أنظر الشرح - ص ٦٧ ، حاشية[١] .

الطَبَل خـاناه :

أنظر الشرح - ص ٤٠ ، حاشية[٢] .

الطست خاناه = الـطشتخانـاه :

أنظر : صبح الأعشى - ج ٤/١٠ .

الطير والقبّـة :

أنظر الشرح - ص ٧٢ ، حاشية[٣]

العشير :

اسم يُطلق على القبائل في بلاد الشام على عهد المماليك .

الغلمان :

هم الذين يقومون بخدمة الخيل . (صبح الأعشى ٥/٤٧١) .

الفرجية :

اسم الثوب « الفوقاني » الخاص بطبقة العلماء . وكان النوع الذي يمنحه السلطان اكثرها أنافة . فهو مبطّن بفراء السنجاب . (الملابس المملوكية ٩٥) .

فرس النوبة :

فرس مجهّز بالسَّرْج والغاشية ، يُحفظ بقرب حضرة السلطان لاستخدامه في الطوارىء أو للركوب إعلاناً بقيام سلطان جديد . (العصر المماليكي ٤٣٧) .

الفوقانية :

هي الرداء الذي يُلبس فوق الملابس . وكان يُصنع من الحرير الأطلس الأحمر ، ويبطّن بفراء السمّور ، (الملابس المملوكية ـ ص ٦٢ حاشية ١)

قاضي القضاة :

أنظر : صبح الأعشى ٤/ ٣٤ .

القَلَنْسُوَة :

لباس للرأس (طاقية) ، تُصْنَعَ من جلد الماعز أو الصوف أو الحرير ، وربما لُبست تحت العمامة . (العصر المماليكي ٤٤٠) .

كاتب السر :

أنظر : صبح الأعشى ٤/ ٣٠ .

الكاشف :

جمعة : الكُشّاف . أنظر : صبح الأعشى ٤/ ٢٥ و ٦٥ .

الكفّيات :

أنظر الشرح ـ ص ٧٣ ، حاشية[1] وهي آلات كان يُطلق منها النار

بواسطة البارود تُحمل بـالكفّ سمّيت بالكفّيّات ، جمع كفّيـة ، وهي تشبه مـا يُسمّى قربينا أو طبنجة . (إعلام الورى ـ ص ١٠٥) .

كوامل صمّـور :

اللباس الكامل بفراء السمّور .

المزربـان :

انظر الشرح ـ ص ٩٥ ، حاشية[1] .

المعبّر :

مفسّر الأحلام .

المقام الشـريف :

من ألقاب التفخيم للسلطان .

المُقْطَعُـون :

أصحاب الإقطاعات .

المكاحـل :

هي المدافع التي يُرمى عنها النفط أو البارود .

المُكُوس :

مفردها : مكس ، الضريبة ، وهي كـل ما يحصّـل من الأموال لـديوان السلطان ، أو لأصحـاب الإقطاعـات أو لموظفي الـدولـة خـارجـاً عن الخـراج الشـرعي . (المـواعظ والاعتبـار ١٠٣/١ ، و١٢١/٢ ، صبـح الأعشى ٤٦٨/٣) .

المماليك الجلبـان :

الذين يُجلبون من مختلف البلاد .

المماليك السلطانيـة :

مُشتريات السلطان وجلبانه ، وما يتبقّى عنده من مماليك السلطان الـذي سبقه .

المنـــاشـير :

مفـردها : منشـور ، وهو كـل ما يصـدر عن السلطان من مكـاتبـات لا تحتـاج إلى ختم كالمكـاتبات الخـاصة بـالولايـات ومنح الإقـطاعات . (صبح الأعشى ١٣/١٥٨) .

المهتـــار :

آنظر الشرح ـ ص ٥٣ ، حاشية[٢] .

النيابة والنائب :

أنظر : صبح الأعشى ٤/١٦ .

النقباء :

مفـردها : نقيب . وعمله تـأدية الخـدمات الصغيـرة لسيّـده السلطان أو الأمير . (صبح الأعشى ٤/٢١) .

النّمجاة :

أو النمشا . سيف لطيف خاص بالملك .

الوالي :

أنظر : صبح الأعشى ٤/٢٣ .

الوزارة :

أنظر : صبح الأعشى ٤/٢٨ .

فهرس المصادر والمراجع

الإستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البرّ ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ طبعة مصر . (دون تاريخ) .

أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ علي بن أبي الكرم محمد المعروف بابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠ هـ) طبعة طهران .

الإصابة في تمييز الصحابة ـ أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ـ طبعة مصر ١٩٣٩ .

الأعلام ـ خير الدين الزركلي (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين) ـ طبعة القاهرة ٥٤ ـ ١٩٥٩ .

إعلام الورى بمن وُلّي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى ـ إبن طولون ـ تحقيق محمد أحمد دهمان ـ وزراة الثقافة دمشق ١٩٦٤ .

الأغاني ـ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ) ـ طبعة مؤسسة جمّال ، بيروت ، عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .

إنباء الهصر بأبناء العصر ـ علي بن داود الجوهري الخطيب الصيرفي (ت ٩٠٠ هـ) . تحقيق د. حسن حبشي ـ القاهرة ١٩٧٠ .

بدائع الزهور في وقائع الدهور - محمد بن أحمد بن إياس - تحقيق محمد مصطفى - (النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية بفيسبادن) - طبعة القاهرة ١٩٦٣ .

البداية والنهاية في التاريخ - اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) - طبعة بيروت ، الرياض ١٩٦٦ .

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام - الحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) - طبعة القدسي ، مصر .

تاريخ بغداد - الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) - طبعة بيروت (دون تاريخ) .

تاريخ التمّدن الإسلامي - جرجي زيدان - طبعة دار الهلال ، مصر .

تاريخ الرسل والملوك - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - طبعة دار المعارف بمصر .

تاريخ سنيّ ملوك الأرض والأنبياء - حمزة بن الحسن الأصفهاني - طبعة مكتبة الحياة ، بيروت .

التاريخ الصغير - الإمام أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) طبعة الهند ١٣٢٥ هـ .

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور - د . عمر عبد السلام تدمري - الجزء الثاني - طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٨١ .

تاريخ اليعقوبي - أحمد بن واضح اليعقوبي - طبعة دار صادر ، بيروت ١٩٦٠ .

تذكرة الحفّاظ - الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) طبعة حيدر أباد ١٣٣٣ هـ.

تكملة المعاجم العربية - رينهات دوزي - ترجمة وتعليق د . محمد سليم النعيمي - بغداد ٨٠ - ١٩٨١ .

تهذيب الأسماء واللغات ـ الإمام أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ.) ـ طبعة بيروت .

تهذيب التهذيب ـ الحافظ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ.)ـ طبعة حيدر أباد ، ١٣٢٥هـ.

الجرح والتعديل ـ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ.) طبعة حيدر أباد ، ١٩٥٣ .

جمهرة أنساب العرب ـ ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ.) تحقيق عبد السلام محمد هارون . طبعة دار المعارف . بمصر ١٩٧٧

الجواهر المضيّة في طبقات الحنفية ـ محمد بن أبي الوفاء محمد القرشي ـ ج ٢ ـ طبعة حيدر أباد ١٣٣٢هـ.

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ـ الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ.) .

حكايات الشطّار والعيّارين في التراث العربي ـ د . محمد رجب النجار ـ سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت ١٩٨١ رقم (٤٥) طبعة القاهرة ١٢٩٩هـ .

الحلّة السيراء ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبّار (ت ٦٥٨هـ.) تحقيق د . حسين مؤنس ـ القاهرة ١٩٦٣ .

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ـ أبو نُعيم الأصفهاني الحافظ (ت ٤٣٠هـ.) طبعة بيروت ١٩٦٧ .

خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ـ عبد القادر البغدادي ـ طبعة دار صادر ، بيروت .

خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، صفيّ الدين الخزرجي الأنصاري ـ طبعة مصر ١٣٢٢ هـ .

دائرة معارف البستاني ـ المعلّم بطرس البستاني ـ طبعة ١٩٠٠ .

درّ الحَبَب في تاريخ أعيان حلب ـ رضيّ الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي (ت ٩٧١هـ .) ـ تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبّارة ـ الجزء الأول ، القسم الثاني ـ طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٧٣ .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ .) ـ تحقيق محمد سيّد جاد الحق ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ١٩٦٦ .

ديوان امرىء القيس ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٨ .

الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ آغا بزرك الطهراني ـ طبعة النجف ١٣٥٧هـ .

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ـ غرس الدين الظاهري ـ نشره بول رافس ـ طبعة باريس ١٨٩٤ .

السلوك لمعرفة دول الملوك ـ المقريزي ـ تحقيق د . محمد مصطفى زيادة ـ الجزء الأول ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٤ .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ العماد الحنبلي ـ طبعة مصر ١٣٥٧هـ .

الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة أبو محمد عبد الله ـ طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٨٠ .

صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي ـ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .

صفة الصفوة ـ ابن الجوزي ـ طبعة حيدر أباد ١٣٥٥هـ .

طبقات فحول الشعراء ـ ابن سلام الجُمَحي ـ شرح محمود محمد شاكر ـ القاهرة ١٩٧٤ .

طبقات خليفة بن خياط ـ تحقيق د . أكرم ضياء العمري ـ طبعة العاني ، بغداد ١٩٦٧ .

العبر في خبر من غبر ـ الذهبي ـ تحقيق فؤاد سيد ـ طبعة الكويت ١٩٦١ .

العصر المماليكي في مصر والشام ـ د . سعيد عبد الفتاح عاشور ـ القاهرة ١٩٦٥ .

فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مصر ١٩٥١ .

القاموس الإسلامي ـ أحمد عطيّة الله ـ طبعة مكتبة النهضة المصرية .

الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)ـ طبعة دار صادر ، بيروت .

لسان العرب ـ ابن منظور .

المحبّر ـ أبو جعفر محمد بن حبيب (ت ٢٤٥ هـ .) ـ نشرته د . إيلزه ليختن شتيتر ـ طبعة دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ـ المسعودي ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ القاهرة ١٩٦٤ .

معجم الألفاظ الفارسية المعرَّبة ـ السيد أدّي شير ـ طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٠ .

معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ طبعة دار صادر ، بيروت .

المعرفة والتاريخ ـ أبو يوسف يعقوب بن سفيان البسوي (ت ٢٧٧هـ) ـ تحقيق د . أكرم ضياء العمري ـ بغداد ١٩٧٤ .

الملابس المملوكية ـ ل . أ . ماير ـ ترجمة صالح الشيني ـ طبعة الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة ١٩٧٢ .

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ـ المقريزي ـ طبعة مصر ١٣٢٥هـ .

موسوعة الشعر العربي (الشعر الجاهلي) ـ نشر بإشراف د . خليل حاوي ـ طبعة خيّاط ، بيروت ١٩٧٤ ـ الجزء الأول .

ميزان الإعتدال في نقد الرجال ـ الذهبي ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ القاهرة ١٩٦٣ .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـاهرة ـ ابن تغـري بردي ـ طبعـة دار الكتب المصرية ، ١٩٦٣ .

نسب قـريش ـ ابـو عبـد الله المصعب بن عبـد الله الـزبـير ـ نشـره إ . ليفي بروفنسال ـ طبعة دار المعارف ، بمصر ١٩٧٦ (الطبعة الثانية) .

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ـ ابن خلّكـان (ت ٦٨١ هـ .) ـ تحقيق د . إحسان عباس ـ طبعة دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ .

Dictionnaire Détaillé des Noms des Vêtements chez les Arabes. R. Dozy- Amsterdam 1843.

الفهرس العام

الموضوع	الصفحة

الباب الثالث

الباب الرابع

الملاحق

الفهارس

صدر للمحقّق

الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى (٣٧٢ صفحة) ـ طبعة دار فلسطين للترجمة والنشر ـ بيروت ١٩٧٣ (نفد) .

تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك (٤٤٠ صفحة) ـ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ـ طرابلس ١٩٧٤ (نفد) .

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ عصر الصراع العربي البيزنطي والحروب الصليبية ـ (٥٠٠ صفحة) ـ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ـ طرابلس ١٩٧٨ .

من حديث خيثمة بن سليمان القُرشي الأطرابلسي ٢٥٠ ـ ٣٤٣هـ. (٢٦٨ صفحة) دراسة وتحقيق ٤ مخطوطات هي :

الفوائد ، من المنتخب من حديث خيثمة ، الجزء الأول .

فضائل الصحابة ـ الجزء السادس .

فضائل أبي بكر الصدّيق ـ الجزء الثالث .

الرقائق والحكايات ـ الجزء العاشر .

طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٠ .

تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ عصر دولة المماليك ـ (٦٧٦ صفحة) ـ طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨١

النّور اللائح والدرّ الصادح في اصطفاء مولانا السلطان الملك الصالـح ـ دراسة وتحقيق (٨٨ صفحـة) ـ طبعة دار الإنشـاء للصحافـة والطبـاعـة والنشـر ـ طرابلس ١٩٨٢ .

دار العلم في القرن الخامس الهجري (٩٦ صفحة) ـ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ـ طرابلس ١٩٨٢ .

البدر الزاهر في نُصْرة الملك الناصر ـ المنسوب إلى إبن الشحنة ـ تحقيق ـ طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٣ .

يصدر للمحقّق قريباً

موسوعـة العلماء المسلمين في تـاريخ لبنـان الإسلامي ـ رجـال الحديث والعلوم الإنسانية خلال ١٤ قرناً ـ ١٥ مجلّداً × نحو ٥٠٠٠ صفحـة ـ تبنّتها اللجنـة العليا للاحتفـال بالقـرن الخامس عشـر الهجري في لبنـان ـ يُصدرهـا المركـز الإسلامي للإنماء والإعلام ـ بيروت .

تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعـلام ـ الحافظ الـذهبي (ت ٧٤٨ هـ .) ـ تحقيق ـ الأجـزاء : الثـالث والسـادس والسـابـع . تصـدر عن دار الكتـاب العربي ـ بيروت .

معجم الشيوخ لابن جُميع ـ محمد بن أحمد بن جُمَيع الصيداوي ٣٠٥ ـ ٤٠٢هـ ـ دراسة وتحقيق ـ يصدر عن مـركز البحث العلمي والتـراث الإسلامي بكليـة الشريعة بجامعة أمّ القرى ـ مكة المكرّمة .

الدكتور عمر عبد السلام تدمري

البدر الزاهر

دار الكتاب العربي